التفكير الفلسفي
بين
الدين و العلم

دكتور

مصطفى غلوش

نشر

قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين / القاهرة

جامعة الأزهر

١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ميز الإنسان بالتفكير . وكرمه بالعقل بقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ ويقول سبحانه : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ ﴾ .

ولأن الإنسان بهذه المنزلة السامية . فقد جعل الله مناط التكليف الشرعي والخطاب الديني لمن أعطى نعمة العقل . فلا تكليف ولا مسئولية لمن حُرم العقل .

فالقرآن نزل لخطاب أصحاب العقول . وحّداءٌ الأنبياء لقوافل الإنسانية عبر الحقب التاريخية أصل على قواعد العقل والمنطق .

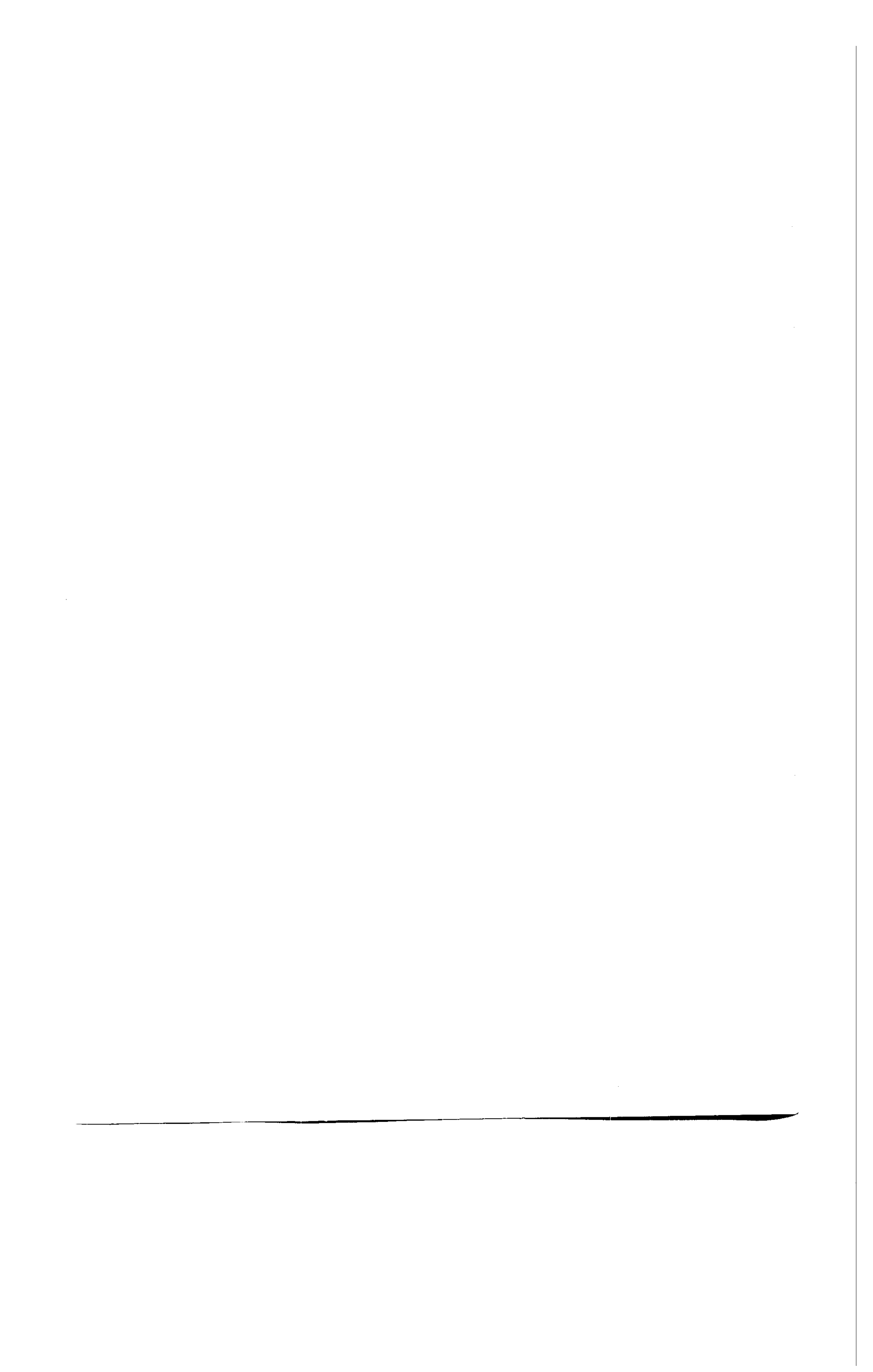
وإذا كان (التفكير) في معناه العام هو (إعمال العقل في فهم نص أو مشكلة) فإن عمومية العقل تختلط بخصوصية التفكير بحيث يظهر الإنسان في أروع صور تكريمه .

ولكن المشكلة عندما يغيب لسبب "ما" هذا التفاعل بين العقل والفكر .

ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى وضع الضوابط العقلية والفكرية التي تحكم مسار الفكر والعقل .

وتفجرت العلوم العقلية لتضيف التجارب والقواعد للإنسان ليظل إنساناً .. حتى يحفظ كرامته وعقله الذي يميزه .

والقرآن الكريم حافل بهذا المنهج الباعث للفطرة السليمة وقوانينها مثل قوانين الفكر (السببية والتناقض والثالث المرفوع) والتي هي موازين لكل



القوانين وكل العلوم وعليها أصلت : اصول الإسلام وفروعه وتنوعت دوحة العدل والحضارة في التاريخ الإسلامي ..

ولعلـــي أريـــد أن أمهـــد لدراسة (الفلسفة العامة) . وهي الإتجاه الفلسفي الإنســـاني الـــذي لا ينسب إلى (زمان أو مكان أو إنسان) فليست تدور مع الـــزمان (قديمـــة أو وســـيطة أو حديـــثة أو معاصرة) . وليست تدور في جغرافية الشرق أو الغرب وكذلك لا نستطيع أن نقول : إنها فلسفة (أفلاطون أو أرسطو أو الكندي أو إبن سينا أو ديكارت أو كانط) .

وهذا النوع من الفكر الإنساني يحتاج إلى إرساء لبعض القضايا . حتى يظهر مدى تجردها .. ومدى ارتباطها بالإنسان .

ولذلك : سنذكر في هذا الجزء من الدراسة بعض التمهيدات الهامة التي تعين على إدراك معنى (الفلسفة العامة) كمدرك إنساني مجرد .

والله أسأل : أن يعين على إخراج (الجزء الثاني) من هذه الدراسة .

(إنه نعم المولى ونعم النصير)

هذا ... وبالله التوفيق ،،

دكتور مصطفى غلوش
أستاذ العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين / القاهرة
جامعة الأزهر

مقدمات عامة
فى
الفلسفة العامة

التفكير سمة الإنسان :

إن أى نظرة بين الإنسان وغيره من الكائنات تجدها تدلنا على أن التفكير هو الذى يميز الإنسان عن غيره من الكائنات .

فإن الجبال والبحار والأشجار ثم عالم الحيوان والطيور مهما كانت ، فإنها منتجه لمثيلاتها لا تتعداها .

أما الإنسان فإنه جمع بين الإنتاج (المماثل) والإنتاج (العقلى) والإنتاج (الفكرى) فهو يستطيع أن يصنع عالماً من جنسه بأن يكون للأب والأم ولداً أو بنتاً يماثلهما وأن يكون أيضاً له عالم آخر ، وهو عالم من صنع تفكيره وعقله .

الإنسان وحده هو القادر على أن ينشىء بيتاً فى ذهنه ثم ينفذه، فيصير بيتاً فى الواقع، ثم يستطيع أن يطرد ذلك فينشىء المصنع وينشىء الاختراعات والابتكارات ، وما الطائرات والسفن ومراكب الفضاء الا عبارة عن كيانات عقلية بدأت بتفكير وتأمل ثم إنتهت بعد ذلك إلى ما نراه الآن .

هذه الأمور كلها إنما هى خصيصة الإنسان وهى التى تجعل الإنسان يتفرد عن غيره من المخلوقات .

وإذا أردنا أن نتلمس معنى هذا (التفكير) وجدنا أن حركة العقل تنطلق فى دائرة التأمل والاستنتاج والاستنباط .

والحركة العقلية هذه حينما تدور فى هذه الدائرة إنما تقصد وسطاً عقلياً ودائرة أسمى من الدائرة التى يعيش فيها الإنسان ، فكلما اجتاز دائرة كلما مدّ فكره الراقى إلى دائرة أخرى ثم يجتاز أخرى وهكذا.

إن الفكر يريد أن يرقى عن طريق التأمل والتفكر يحب ذلك ويرغب فيه والترقى حكمة لا صفة.

من هنا : كان هذا النشاط الفكرى رائده أن أصحابه يحبون الحكمة عندئذ قيل هذا (محبٌ للحكمة) وقد اشتهر فى معنى (حب الحكمة) تلك الكلمة اليونانية القديمة التى تعنى (فيلو) أى محب (وسوف) أى حكمة .

ومن هنا : كان معنى (فيلوسوف) أى فيلسوف محب للحكمة وبذلك يكون فلسفة أى (حب الحكمة).

من هنا : نستطيع أن نفهم معنى الفلسفة ومعنى (حب الحكمة) فالإنسان وحده هو الذى يفكر . ويحب الحكمة ويسعى إليها.

ولكننى أتصور أن حب الحكمة لا يمكن أن يكون إلا إذا كان ذا منهج محدد وطرق مؤدية إلى ذلك التفلسف.

ولذلك نجد أن التفكير فى معناها العام وإحكام الروابط بين ما أفعله وبين النتيجة لا تكون بدقة وقصد حتى أتخذ هذا المنهاج أى التفكير وسيلة أدرك بها أسرار الكون حتى يمكننى أن أفهم معنى دقائق هذا الكون ، وأن أدرك قوانين الطبيعة المحسوسة وقوانين الوجود المطلق وسنة الكون وسنة الأفلاك وهذا يجعل الإنسان سيداً على كثير من ظواهر الكون، ويحقق معنى (التسخير) الذى أراده الله تعالى.

ومن هنا يستطيع بالفكر أن يقارن بين ما كنا نتسمعه من أن الإنسان كان يفزع من ظاهرة (البرق) وظاهرة الرعد وغيرهما ، فإذا علمهما بفكره وتأكد منهما فإنه عندئذ يستطيع أن يعلم أنها ظواهر علمية وكونية .

الديـن
وعلاقته بالفكر والتفلسف :

بداية نريد أن نقول : إن الإسلام قام على الإقناع وإزجاء الحجة، وعلى إقامة التفكـير ، ونـهى عـن التقليـد وإتبـاع الآبـاء والأجـداد والأولين ، فهذه صورة يرفضها الإسلام .

فلابد أن ينشّط الإنسان فكره وأن يعمل عقله ، ولابد أن تكون حركة الإنسان مفهومة ومدروسة ومقصودة .

ولذلك وجدنا أن مفـهوم (النيّـة) مفـهومٌ هـام فـى الشـريعة الإسلامية وفى الإسلام ، حتى يكـون الإنسـان عالمـاً أو قـاصداً إلى مـا يصنع.

ونحن نجد أن القرآن الكريـم تحـدث فـى الجـانب الآلهـى عـن (الوحدانية) وعن صفات الله سبحانه وتعـالى وعمـا يجـب أن يكـون . لكنه أى : (القرآن الكريم) ترك الحديث عن (الوجود) بشقيه (الوجود المطلق) لأنه محسوس ، والوجـود الإلهـى (وجـود الله سـبحانه وتعـالى) بمعنى أنه لم يقدم الدليل إلى الإنسان هكذا بأن قال له (هذا كذا وكذا ثم ينتج عنه أنه موجود لا غير ذلك فى القرآن .

إنما نجد بداية أن القرآن بدأ يتحدث عن (الوحدانيـة) انطلاقـاً من أن وجود الله أمر مسلم أو أن القرآن يخاطب مـن آمـن بوجـود الله بداية ثم شك فى صفة أو .... أو داخله شرك أو ما شابه ذلك .

أما قضية (الوجود) فقد تركها الله للفكر الإنسانى حيث قال الله تعالى : (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)(آل عمران: من الآية١٩١) .

إذاً الله سبحانه وتعالى جعل فى الكون أدلة واضحة ومقدمات للدليل بحيث ينتقل العقل والفكر من دليل إلى دليل حتى يصير هذا الدليل متكاملاً فيصبح برهاناً. هذا البرهان يوصل إلى أن الله موجود من ثم يبدأ حديث الوحى من هذا الوجود : إعلم أيها الإنسان أنه واحد وأن صفاته كذا وكذا.

إذاً التفكير ركيزة هامة من ركائز العقيدة الإسلامية . ومن هنا فهو أساس عميق فى الإسلام .

ونستطيع أن نتبين منهج القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ)(يوسف: من الآية١٠٩).

فى هذه الآية دعوة إلى النظر والى السير فى الأرض والتفكر فيما كان عليه من كانوا من قبل وهذه حركة عقلية محضة كما جاء قول الله سبحانه وتعلى فى الحديث إلى ذوى الألباب أى : العقول و (اللّب) هو العقل المدرك الفاهم : قال الله تعالى (قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة:١٠٠) فى هذه الآية دعوة صريحة إلى معيار عقلى

لا يقوم على ما تعارف عليه الناس من كثرة ، فلا يقال إن المجموع العام فى المفهوم الشيئى كذا أى لاينظر ولا يجب أن ينظر الإنسان إلى الكون بهذا المعيار فلو أن (باطلاً) وقف عليه ألف شخص و(حقاً) وقف عليه شخص واحد فإن هذه الآية تدعونا أن نتأمل الحق لا نتأمل الكثرة حتى ولو كان هذا (الألف) من أغنياء الناس ومن أكثرهم علماً أو ارستقراطية أو ما شابه ذلك.

هذه آية عظيمة وميزان رائع للميزان العقلى والحياتى والاجتماعى أيضاً ويصل بفكر الإنسان إلى ما ينبغى أن يكون .

ثم يتحدث القرآن الكريم فى سورة آل عمران فى قوله تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)(آل عمران: من الآية١٩١) .

ثم يتحدث أيضاً فى سورة النحل (يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل:١١) .

والفكر حركة العقل فكانت هذه دعوة قرآنية صريحة إلى إعمال الفكر وإلى العقل والى الدعوة إلى أن يتفحص الإنسان ما حوله وهى دعوة إلى التأمل.

هل هنا مشكلة :

لكن هل هنا مشكلة ؟...!. نعم هنا مشكلة:

المشكلة أن الناس ليسوا متحدى الفكر وليست البشرية كلها على نطاق واحد من الرؤى المنهجية لحركة العقل ونشاطه .

فهذا تفكير (صحيح)وهذا تفكير (فاسد) .

وهذا له تفكير معتدل وهذا له تفكير (مضطرب) .

وهذا يفهم الحقيقة دعوة مختلطة بغيرها من أساليب شهوات الدنيا التى تدخلت فى حركة الإنسان وفى تفكيره.

من هنا : وجدنا أن هناك ما يسمى (بأساليب الفكر) قد تم علمياً تنظيمها لإخراج الفاسد منها والإبقاء على الصحيح.

ويمكن أن نوجزها فى أربعة مدارك وهى :-

١- أساليب التفكير :

١- التفكير الخرافى .

٢- التفكير العلمى.

٣- التفكير عن طريق الغير. أى أسلِّم بالقضية كما تقال ثقة بمن قالها .

٤-التفكير التأملى .

أولا: التفكير الخرافى:

هو تفسير ظاهرة موجودة بفكرة خرافية غير موجودة .

والخرافة هى الشىء الذى فيه (تخريف) أى ليس له وجود عقلى ولا منهجى ولا حقيقى .

يضربون له قديماً مثالاً يفصل القول بين التفكير عند وجود ظاهرة محددة بين تفسيرها تفسيراً خرافياً أو تفسيرها تفسيراً علمياً فلسفياً .

يقول بعض الفلاسفة ، كان رجل رحالة يحب الترحل وينتقل على هضبة من جبال (الإنديز) مصطحباً معه دليلاً من أهل الجبل، فلاحظ الرجلان وهما على قمة الهضبة حينما أرادا طهى طعام من (أن البطاطس لا تنضج بالرغم من غليان الماء).

نجد أن صاحب التفكير الخرافى الذى لم يشاهد قط أن البطاطس أو أى شىء ما لا يتأثر بغليان الماء ويظل كما هو.

فسره تفكيراً خرافياً بأن قال : إن الشياطين قد حلّت أو الجن قد حلّت فى هذا الإناء أو هذا الوعاء.

أما صاحب التفكير العقلى الذى عرف بالعلم والقواعد الفكرية والفلسفية أن هذه الظاهرة – عدم نضج هذا الطعام – يتوقف على قانون علمى معترف به هو نتاج عقلى، إذ تتوقف درجة الغليان على ضغط الهواء فلما كان ضغط الهواء ، على قمة الجبل عاليا قليلاً

تتطلب غليان الماء درجة من الحرارة أقل من الدرجة التى يغلــى عليـها الماء وهو على سطح البحر.

هذا قانون هذا الرجل العلمى الذى رجع عدم النضــج لأنــهم على منطقة عالية جداً فوق سطح البحر.

وأما الخرافى فقال: إن الجن قد سكنت الوعاء أو الإناء .

هذا هو معنى التفكير العقلى فكل مجتمـع ينتشـر فيـه حديـث الخرافة بجعل الأسباب للجن أو الإنس .

إن الجن موجود ، نعم . والشيطان موجود نعم .

ولكن تفسير كثير من الأمور فى حياتنا اليوميــة بـهذه المعـانى يعّد نقصاً فى فهم معنى الظاهرة العلمية .

ومن ثم فإن التفكير الخرافى عند العجز عـن تفسـير الظـاهرة واللجوء إلى تفسير الخرافات هو منــهج العـاجزين فـى عقولهـم وفـى أفكارهم .

خذ مثلا التعاويذ والأوراق التى يكتبــها الدجـالون ومـا شـابه ذلك من أعمال السحر والشعبذة.

ولعلنا تستيطع الآن أن نتلمس منهج القرآن الكريم فــى هــذا المعنى من الخرافات حينما كان الجاهليون يتطيرون من أمور معينــة فـإذا القرآن الكريم يرفض هــذا (التطـير) قضيـة التفـاؤل والتشـاؤم ومـا ماثلها. فإنه ليس تفكيراً علمياً أو منطقياً يقــول الله تعـالى (قَـالُوا إنَّـا

تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) (يّس:١٨-١٩).

هذه إلمامة سريعة إلى معنى التفكير الخرافى لكن المراد فى دراستنا هو ما يسمى (بالتفكير العلمى).

ثانيا : التفكير العلمى :

هو الذى يقوم على الملاحظة والتجربة وترتيب المقدمات والخلوص إلى نتائج.

وهو إن كان فى العلوم العملية فهو فى (المعمل) . وإن كان فى العلوم النظرية فهو فى (المنطق وتصوراته ، وتصديقاته ومناهج البحث والنتائج) وغير ذلك .

فإن كان عقلياً بحتاً فهو فى العلوم النظرية وإن كان عملياً بحتاً فهو فى المعمل يستفيد بالعلوم النظرية .

إن عالم النظرية قد يوجد فى المعمل ولابد أن يوجد معه عقله وفكره وتفكيره المنهجى ، أى : لابد أن يستصحب التفكير المرتب .

أما العلوم الأخرى التى لا تحتاج إلى (معمل) فيكفى أن يستصحب العقل معه فقط أى أن أصحاب العلوم الطبيعية يحتاجون إلى المعمل والعقل والتفكير وزيادة ، حتى لا يفهم الانفصام بين هذا وذاك - فلابد للتفكير العلمى أن يبدأ من (الدهشة) - والدهشة هى فلسفة أيضاً - .

الدهشة التى يمكن أن تقول عنها أنها أشعرت بوجود مشكلة - فإن الشعور بوجود مشكلة هو بداية التفكير العقلى السليم .

فالتفكير العلمى يبدأ بالإحساس بالمشكلة أو صعوبة أو بموقف غير مألوف يثير فى الباحث رغبة فى حل هذه المشكلة أو إزالة التوتر الفكرى عنده .

فقد تنشأ المشكلة عندما تستدعى نظر العالم (ظاهرة غير مألوفة) فيتساءل عن طبيعتها، ويحاول أن يستكشف سرها - بعض الفلاسفة ذهب إلى القول بأن هذا شرطاً للقيام بأى عملية تفكير وأىّ بحث ، فلا يمكن أن يستقيم تفكير إلا إذا كان الموقف الماثل أمامنا غامضاً ، وإن التفكير ينشأ عندما تكون الأشياء غير محققة إذا قامت المشكلة.

فالتفكير يبدأ بتحديد هذه المشكلة ويتساءل: ماهى هذه المشكلة؟ وهذا ما يسميه علماء الإسلام (تحقيق المناط) .

ما هى عقدة المشكلة ؟ ولم تتدخل مع جزئيات أخرى ومشاكل أخرى؟ ولكن هل يمكن فصلها ويمكن التوجهه إليها ومحاولة حلها.

ثم بعد ذلك يبدأ الإنسان فى تصورات الحل- إحتمالات - هو ما يسمى مرحلة (فرض الفروض) (ثم يعكف على كل فرض بالإثبات أو النفى إلى أن يصل إلى الفرض الصحيح ويكون هو المطلوب .

ثم بعد ذلك يقوم بجعل ما وصل إليه شيئاً عاماً يصلح أن يكون باعثاً على الفكر أو درجة من درجات الفكر فى قضية أخرى .

ثالثاً : التفكير عن طريق الغير :

فهو أن يعتمد الإنسان على غيره فى تفكيره ويلجأ إليه طالباً حل مشكلته .

وهذا أمر قد يتم بفعل قوة تأثير هذا الغير وسطوته

أو قد تختار أنت هذا الإنسان وهى طريقة غير طيبة فى حل المشكلات ، لأنها تعطل العقل . وقد يعطيك هذا الإنسان حلاً لمشكلتك وتجدها طيبة وتلجأ إليه فى مشكلة أخرى فيعطيك هذا الإنسان حلاً. وإذا بهذا الحل ضارٌ وليس بنافع

ومشكلة الاعتماد على الغير أنه يعطل عقلك ويجعلك تعتمد على العواطف والمشاعر والاعتماد على الماضى أى الخبرة عند الغير - وكذلك الزمن يجعلك تتصور أن الماضى أشد خبرة وتبصر وليس الأمر كذلك قد يكون الحاضر أشد خبرة وتبصر وقد يكون الماضى أشد خبرة وتبصر وهذا خلط . والخلط يؤثر فى اضطراب التفكير.

إن الأخذ عن الغير فى علوم الطبيعة وقوف على مرحلة زمنية فى هذا الغير. فحينما تلجأ إلى عالم (فيزياء) قد تخرج ووقف علمه عند

بداية القرن التاسع عشر أو القرن العشرين نجـد أنـك لم تلـهث وراء التقدم والتطور لأنه لابد أن يتطور الفكر يوماً بعد يوم

فمحاولة الهروع إلى الغير فى هذا الموضوع أمر مطلوب . لأنـه بناء حسى على هيكل سابق .

يهمنى هنـا أن أشـير إلى أن الفيلسـوف الأنجلـيزى (فرنسـيس بيكون) انتقد بشدة منهج التفكير عن طريق الغـير وحـذر منـه وأسماه الانقياد الأعمى لآراء الغير واعتبر ذلك انقياداً يوصل إلى خطأ فـاحش ووهْمُ كبير .

ولعلنا لو رجعنا إلى ما أسماه (أوْهام المسرح) لوجدنـا أنـه يعنـى هذه الأمور .

وأرجو أن يلحظ هنا ملاحظة هامة - وأنـه ليـس معنـى رفـض التفكير العقلى عن طريق الغير أننى أقصد كل ما عند الغير .

إنما يجب أن أفكر فيما عند الغير بذاتى وأتأمله وأن أضـع فـى اعتبارى أن (ليس كل ما يلمع ذهباً) فحينما أعطى شـيئاً أتأملـه وهـذا دورى أن أتأمل الأشياء والقضايا لا بين صحيحه من فاسده .

الفلسفة إذاً وظيفة إنسانية . ولكن ينبغى أن ندرك أنها تتمـيز بشىء أو بطبيعة تختلف به عن بقية العلوم .

الفيلسوف أو الفلسـفة لا يسـتطيع الفصـل بـين ذاتـه وبـين الموضوع الذى يعالجه بينما فى العلوم ممكن للإنسان أن يفعل ذلك ، إذ

الفلسفة ما هى إلا وجهة نظر خاصة بصدد الموضوع ، أو هى تجربة فريدة للذات مع الموضوع وهى مثل الفن سواء بسواء (إذ أنها عمل يتميز بالفردية ومن ثم فلا يمكن أن تخضع لمقاييس موضوعية ، ولهذا فإننا لا نستطيع فى نطاق الفلسفة أن نلزم شخصاً معيناً يطرح ما يعتنقه من آراء أو الخضوع لرأى واحد أو إلزام الفهم بقبول رأى معين إذ أن لكل فرد أفكاره الخاصة به [1] .

وعلى هذا فلا يمكن لنا أن نتحدث عن الموضوعية فى نطاق الفلسفة إلا إذا عزلنا الذات العارفة عن الموضوع .

وأن أردنا أن نقف على معنى التفلسف هنا فإننا نجد أن التفلسف يحتاج إلى أمرين هامين :

١) الخلوة إلى الذات .   ٢) التأمل فى ما حول الذات .

وهذان شرطان أساسيان للتفلسف لمن أراد أن يتفلسف .

وهنا تأتى إلى سؤال هام : أيهما يعين على التفلسف؟ هل هذان الأمران ؟ أم ما ندرسه فى الفلسفة ؟ .

الحقيقة أن دراستنا للفلسفة ومذاهبها وعصورها وتواريخها ليست إلا نماذج للطرح العقلى التى وصل إليه هؤلاء الفلاسفة وهى فى جملتها يمكن أن يسترشد بما جاء بها من آراء الفلاسفة السابقين بشيء واحد هام وهو : المران العقلى على ممارسة التفلسف.

---

(١) راجع صفحة ١٣ من كتاب (الفلسفة ومباحثها) للدكتور محمد على أبو ريان نشر دار الجامعات المصرية بالأسكندرية .

بمعنى : أن الوقوف على الفلسفة الإغريقية بعصورها ، والفلسفة الإسلامية بعصورها ، وفلسفة العصور الوسطى ، والفلسفة الحديثة والمعاصرة ، وقبل ذلك : الفلسفات القديمة من فرعونية وصينية وهندية وغيرها .

كل هذا لا يخلق فى الإنسان موهبة أو ملكة التفلسف فقط ، تجعله عارفا بتاريخ التفلسف ، أو بتاريخ الفلسفة أما أن أتحول إلى فيلسوف أو متفلسف فهذه قضية أخرى تتكون من :

١) العلم ٢) والادراك

٣) وشيء آخر منحة من الله سبحانه وتعالى .

فمثلا: نجد أن أقسام اللغة العربية تدرس الأدب والشعر ونقده.

أما أن يتحول الإنسان إلى (شاعر) فهذا يحتاج بجانب ذلك أو قبل ذلك إلى موهبة (قرض الشعر) .

كذلك فإن دراسة الفلسفة لا تحول الإنسان إلى فيلسوف ، ولكن إلى (فيلوسوف). وهذه حقيقة هامة غفل عنها كثير من دارسى الفلسفة فاضطربت آراؤهم وأفكارهم . إذ تصوروا أنه بمجرد دراسة هذه المناهج أنهم صاروا فلاسفة وجاء كلامهم وآراؤهم من هذا المنطلق، وهذا منهج بعيد عن الفلسفة التى ينبغى أن يتعلموا منها الحكمة والحرص على المصطلح وعلى الأداء.

ولكن ينبغى أن يكون بجوار ذلك أيضا مفهوم وهو (الموهبة) أو الفهم أو عطاء الله سبحانه وتعالى ، وهى اللمحة البارقة فى الفكر التى تأتى فى الذهن فتشرق بأمر "ما" هذا الأمر يستفيد منه من سبق له الدراسة عند الآخرين .

ونجد بعض الباحثين يحدد هذه النقطة تماما فيذهب إلى إن عملية التفلسف ذاتها وأصالتها وجدتها لا تتعلق بما ندرسه أو بما نحفظه من مذاهب السابقين بل هى عملية أساسية أصلية تنبع من الذات وتسجل أفكارا خاصة لهذه الذات تختلف عن أفكار الآخرين مثلها مثل عملية(الإبداع الفنى) .

ثم يقول (وفيما يختص بالفلسفة حيث نجد ان التدريب الفلسفى الأول ضرورى للسير فى الطريق الفلسفى ولكن ليس من الضرورى أن تكون نهاية المطاف بهذا التدريب ظهور عبقرية فلسفية، بل العبقرية فى الفلسفة كما هى فى الفن إنما ترجع إلى أصالة كامنة فى الذات فهى هبة فردية خاصة وتعبير فريد عن صلة الذات بالوجود)(١).

---

(١) راجع ص ٤٠ فى المراجع السابق

فائدة الفلسفة

ينبغى أن نعلم الفلسفة لا غنى عنها لإنسان "ما" لأنـها تحـدد حركة العقل ونشاطه والإنسان إنسان بعقله وفكره أما بشريته وآدميتـه فهى بأشياء أخرى .

وضع العلماء فوائد وأهداف للفلسفة نستطيع أن نجملـها فـى الأمور الآتية :

أولا: فوائد عقلية :

١) الإرتقاء بمستوى تفكير الإنسـان بعيـدا عـن الخرافـات والآراء الشائعة .

٢) إشباع رغبة الإنسان فى حب المعرفة .

٣) تحقيق النمو العقلى على أسس علمية سليمة .

٤) إستخدام المنهج العلمى فى التفكير والعمل والحياة .

٥) التعود على مواجهة المشكلات والبحث عن الحل الصحيح.

٦) الموضوعية فى دراسة الموضوع أو دراسة الفكرة.

٧) القدرة على المقارنة. خاصة مقارنة الحجج والبراهين.

٨) إستخلاص النتائج من المقدمات منطقيا وعقليا .

٩) كسب المهارات العقلية المتعددة.

١٠) التسامح الفكرى وعدم التعصب بالاعتماد على قبول ما عنـد الغير ، وتحكيم العقل فأزن من الميزان ما عنـدى علـى مـا عنـد غيرى وما عند غيرى على ما عندى حتى أصل إلى الحقيقة عنـد

[illegible] تكون الحقيقة عنـدى وفقا لشروط [illegible]

مبهمة – هذا هو معنى التسـامح والاعتمـاد علـى النفـس فـى

الارتقاء.

هذه بعض الأمور التى جاءت تتحدث عن فائدة الفلسفة (١)

هناك أيضا :

ثانياً فوائد روحية للفلسفة

١) تأكيد أهمية القيم الروحية – لأنها تمثل طوق النجـاة فـى هذا العصر المادى فإن الفلسفة المادية قويت فى الغرب فإننا وجدنا أنها متلازمة مع وجود حالات الانتحار لأنها : فصلـت الروح عن المادة .

٢) إبراز مساوىء التطرف المادى الذى يميز حضارة القرن العشرين.

٣) المناداة بالتوازن بين المادة والروح .

٤) تدعيم الإيمان بالله تعالى وبالإسلام على أسـاس عقلـى متين لأن العقل هو الملكة التى يعرف بها [illegible] والضرورى [illegible] تحديدا

---

(١) راجع كتاب تدريس العلوم الفلسفية ص ٦٢ للدكتور عبد المجيد عبد الرحيم [illegible] نشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨٤ .

٥) كما أن الفلسفة تعين على تقديم الأدلة على منـاهج الإسلام في كل الأمور من ناحية الجوهر والماهية والحقيقة . (١)

نجد بعد ذلك :

ثالثا: أهداف أخلاقية : للفلسفة

١ - الفلسفة الحقة تدعوا إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق .

٢- الفلسفة تدعو إلى التمسك بالخير والجمال.

٣- الفلسفة تكافح الشر والبغضاء والفتن.

٤- الفلسفة تبرز القيم الأخلاقيـة مثـل الشـجاعة والتضحيـة وإنكار الذات والتعاون على البر والتقوى .

رابعا: فوائد وجدانية :

١) تحقيق النضج العاطفى والانفعالى عنـد الإنسـان بإيجـاد قـاعدة يطرح عليها أفكار .

٢) إخضاع العواطف والانفعالات لأحكام العقل حتى لا يطلق لها العنان .

٣) توظيف العاطفة والانفعال لصالح الفرد والأمة .

---

(١) راجع في ذلك كتاب تدريس المواد الفلسفية نشر دار المعارف لسماح رافـع ، وراجع كتاب الدكتور عبد الغفار مكاوى كم الفلسفة ، نشـر دار المعـارف بالاسكندرية ، ص ٧٥ طبعة سنة ١٩٨١. وراجع أيضا كتاب أمين واصف ، أصول الفلسفة ، ص ٤٩ .

خامسا : أهداف اجتماعية :

١ - تعويد الإنسان على العمل من أجل تطوير المجتمع، وتوجيه الفكر والتعود على مواجهة المشكلات وبهذه الأهداف والفوائد تحاول الفلسفة أن تخرج من عزلتها التى تطوقها فى العصر الحديث.

مفهوم الفلسفة ومجالاتها

أولا : تحديد مفهوم الفلسفة فى عصورها المختلفة

إن الفلسفة هى ثمار العقل الناضج وذلك يقودنا إلى معنى هام وهو – من هو ذلك الشخص أو الإنسان وماهى الصفات التى يجب أن تتوفر فيه حتى يمكن أن يحمل فى الحياة رسالة الفلسفة ويترجم فى آرائه وأفكاره مضامين الفلسفة أو الفيلسوف الذى يتحمل الألم فى الشجاعة فى سبيل المبادىء التى يعتنقها أو ذلك الذى يتصرف بحكمة وإتزان فى مواقف الحياة العامة.

ومن هنا فإننا نجد أن كلمة فيلسوف إما أن تعنى الحكمة أو تعنى الحكيم وأيا كان الأمر فإنه هو الذى يزن آراءه وآراء الآخرين بميزان العقل الدقيق .

وعلى ذلك : إذا أردنا أن نتأمل (معنى الفلسفة) نجد أنها البحث الحر الاستدلالى .

وهى بهذا المعنى تكون تأملا عميقا وإرتفاعا فوق مستوى الجزئيات ولا تكون إلا حينما يدرك المتفلسف العلاقات الدقيقة الكافية فى الأشياء فى شمول وكلية أى أن تربط فى النهاية العلل الأولى للأشياء .

وقد حاول المشرع الإثينى (سنون) أن يتحدث عن شعنى الفلسفة فقال (إنه يقصد بها الفعل أو طلب العلم دون غاية أو منفعة عملية) وهذا وضعها فى البرج العاجى الذى اشتهرت به الفلسفة.

وإذا أردنا أن نبحث عن مفهوم الفلسفة عند (فيثاغورث) نجده أول من إستخدم (مفهوم الفلسفة) إستخداما كاملا عاما وكان يعنى بالفلسفة (البحث عن طبيعة الأشياء).

ومن أقوال (فيثاغورث) فى هذا المضمار حتى يشرح تعريفه قوله : (إن من الرجال قلة لا يستعبدهم طلب المجد أو يستهويهم المال . بل يستهدفون البحث فى طبيعة الأشياء ، وهؤلاء هم محبوا الحكمة أو الفلاسفة لأن الحكمة لا تضاف لغير الآلهة).

واللفظ مركب من مقطعين (فيلو) ومعناه الإيثار والحب و(سوفيا) ومعناه الحكمة فتكون الفلسفة حب الحكمة أو محبة الحكمة .

إن الفلسفة بمفهومها العام حب الحكمة ، والحكمة محيطة بالمجتمع والإنسان . فهى مستغرقة لجميع الاتجاهات الإنسانية ، ولعل هذا يفسر لنا : لماذا نشأ الطب والهندسة والرياضيات والشعر والأدب وكل العلوم فى أحضان الفلسفة – فأرسطوا كان يدرس الفلسفة بجميع جوانبها : الجانب العلمى فى الطبيعة والجانب الرياضى العقلى والذهنى .

إن الجانب الطبى فى البدن والإنسان والجانب الزراعى.. والجانب الاقتصادى والجانب الأدبى والشعرى، كلها علوم كانت ضمن عناصر علم الفلسفة ، ومع حركة العقل والتاريخ والإنسان نضحت هذه المسائل العلمية الفلسفية وظل كل علم ينضج وينضج حتى استقل بنفسه .

فنجد أن مسائل علم الطب – مثلا – تضامت ثم انفصلت وإكتسبت إسما منفصلا عن الفلسفة وهو (علم الطب) وكذلك (علم الرياضيات) وكذلك (علم الهندسة) وبسبب النضج تفقد الفلسفة كل يوم أحد أبنائها حتى جاء (العلم الحديث) ، فأخذ بمنهج الفلسفة أو أخذ منهج الفلسفة منها ووضعه فى (المعمل) ضمن الآلات والأجهزة وحصر الفروض والملاحظات والتجربة بمفهوم علمى عملى حتى كدنا نرى الفلسفة فى عصرنا هذا تكاد تفقد كل يوم عزيزا لديها .

وهنا نطرح سؤالا هاما هل أفلست الفلسفة من موضوعاتها؟ وهل ذهب الأبناء بعيدا عن الفلسفة الأم وتركت وحيلة فى برودة شيخوختها ؟..

أم أن الأمر ليس كذلك ... ؟

الحقيقة أن العلوم ومهما أخذت من مفهوم الفلسفة وأن المعامل الحديثة فى التجربة مهما أخذت من قواعد الفلسفة فإنها لم

تستطع أن تأخذ جزءا هاما هو العمــود الفقـرى الـذى يمثـل الفلسـفة والذى كان يمثل بدايات الفلسفة فهو الذى لم تستطيع الفلسفة القديمة ولا الفلسفات الوسيطة ولا الفلسفة الحديثة أو المعاصر أن تأخذه وهـو ما أطلق عليه (الفلسفة العامة).

ونستطيع أن نلمس تفرع الفلسفة باعتبار العقل إلى :

أ - الفلسفة الكلية ب- الفلسفة المطلقة ج- الفلسفة العامة.

معنى الفلسفة العامة :

وإذا إستطعنا أن نتناول تفريعا وليدا جديدا لمفهوم الفلسفة العامة فإننا نستطيع أن نقول إنها (التى لا تنسب إلى زمان أو مكان أو إنسان). [1] هذا هو الميزان الذى نراه ينطبق انطباقا كليا.

ورد عند عرض مفهوم الفلسفة العامة وقضاياه الكثير من الفلاسفة والمؤرخين وستتحدث عنها ، ولكن هذه الأسماء إما شارحة أو موضحة أو مؤصلة للارتباط بين هذه الجزئيات أما أنها تحتوى على إحدى النظريات التى إبتكرها الإنسان فى عصر ما فهذا ما نجده فى تلك الفلسفات التى استقلت عن الفلسفة وإن لم يكن كما يقول بعض العلماء استقلالا كاملا .

إننا وجدنا الفلسفة العملية قد صارت شيئا بلغت به العلوم حدا رهيبا من التعقيد والتخصص ، فقد أصبحت اللغة رياضية خالية من الملامح فى صورة مكتشفات مذهلة .

أن السؤال ، الذى نطرحه الآن أين الفلسفة من هذا كله ؟ وهل من سبيل إلى فلسفة تكون العلم الشامل لعصرنا ؟ .

(١) هذا التعريف غير مسبوق فى تحديد معنى (الفلسفة العامة) فيما نتصور.

وبمعنى أدق ما دور الفلسفة فى عصرنا ؟ أو ما دور الفلسفة هنا وما وظيفتها ؟

وهل تتوارى الفلسفة فى المعاهد والجامعات وتصبح مجرد (متحف) لأفكار الفلاسفة والتعليق عليها.

هل أجهز العلم على الفلسفة بحثا عقيما فى غرفة مظلمة ؟.

أم أن الواقع يبشر بغير ذلك.

هذه التساؤلات سنجيب عنها فى ثنايا هذه المقدمات ، فإذا أردنا أن نفتش فى تحديد مفهوم الفلسفة سنجد أنه قد سلم لنا منهج الفلسفة العام.

منهج
البحث فى الفلسفة

إن المنهج هو : الطريقة فإذا أردنا أن نتخذ طريقا آمنا فى البحث فى الفلسفة فإن غايتنا من هذا الوصول إلى ضرورة التخلص من أى تحيز أو غرض سابق ضمانا لنقاء البحث وموضوعية النتائج.

وإذا كان البحث هو الفحص والمراد به : بذل الجهد فى موضوع (ما) من أجل الوصول إلى معرفة الحقيقة فإننا ينبغى علينا أن نتأمل أن الفلسفة تميزت (بتعدد) مناهج البحث فيها .

وإذا كان لكل علم منهجية فإن للفلسفة مناهج لماذا ؟

لأن تعدد الفلاسفة عدد المناهج وعدد القضايا وأيضا الاتجاهات عددت المناهج.

فكثرة الفلاسفة وكثرة المذاهب الفلسفية جعلت لكل منهجه .

فلا يمكن أن يتفق منهج الفرض أو منهج الشك أو منهج اليقين فى آن واحد رغم أن الكل فى دائرة الفلسفة.

ولكننا لو أردنا أن نجمع مناهج البحث فى الفلسفة فى منهج واحد نجد أن جميع مناهج الفلسفة لا تخرج عن منهج واحد هو منهج (التحليل والتركيب) .

ومعنى التحليل مراجعة أقوال الفلاسفة السابقين وتناولها بالنقد ثم تضيف المشكلات الفلسفية حيث نقسم المشكلة الفلسفية الكبيرة إلى عدة مشكلات صغيرة كي تستطيع تناولها وأحداث أخرى بهدف الوصول إلى حل فيها أو اتخاذ موقف معين نحوها .

والفلاسفة يرون تصور معين للفلسفة وهى أنها علم المبادىء الأولى للمعرفة والوجود فيكون (التحليل) هو منهجهم جميعا من أجل الوصول إلى تلك المبادىء.

ولعلى بذلك أكون قد وصلت إلى تعريف معين للفلسفة يقود إلى معنى الفلسفة العامة وهو (أنها لا تنسب إلى زمان ولا مكان ولا جنس) .

هذا هو التحليل وهو كشف العناصر الغامضة.

وبعد التحليل تبدأ خطوات كلها عملية عقلية يبدأ معنا (التركيب) حيث يرتب الإنسان ما وصل إليه من عناصر ترتيبا جديدا ويكتشف عناصر جديدة بين تلك العناصر وبذلك يكون التركيب وصولا بالموقف المركب القديم إلى مركب جديد، ولن يصل بذلك إلا بالفرض الفلسفى (وما المذهب الفلسفى إلا فرضا أو وجهة نظر يحاول به الفيلسوف تفسير كل ما بالكون من أشياء ووقائع ومكانة الإنسان فيه وأن يجيب على أسئلته وأن يواجه مشكلاته) .(1) .

---

(1) راجع كتاب مناهج البحث الفلسفى للدكتور/ محمود زيدان ص ١٢٤ .

ان مظاهر (المنهج التجريبى) استحدثه العلماء فى شرح الظواهر الطبيعية والمادية وكيف كانت بداية استقلال العلوم التجريبية عن الفلسفة مثل الطب ، ثم زادت إستقلالا عن الفلسفة بمنهجها الرياضى الخاص.

وفى مستهل القرن العشرين تغير المفهوم التقليدى لمعنى الفلسفة أو المفهوم للفلسفة الأم

ولم تصبح الفلسفة منذ هذا التاريخ هى العلم الأساسى الذى يشمل جميع المعارف وصارت الفلسفة الآن بمفردها بعد تبلور هذه العلوم.

لكن هذا لا ينسينا ما قامت به الفلسفة من رعاية هذه العلوم من قبل . وأن الفلسفة صاحبت الحضارات كلها فى أوجها .

وقد بقى للفلسفة ثلاثة ميادين رئيسة هى :

١) مبحث الوجود ،

٢) مبحث المعرفة ،

٣) ومبحث القيم .

ويشتمل مبحث القيم على ثلاثة علوم أساسية :

١) علم المنطق ويبحث فى قيمة (الحق) ،

٢) علم الأخلاق ويبحث فى (قيمة الخير)،

٣) علم الجمال ويبحث فى (قيمة الجمال) .

وفى منهج البحث فى مجال الفلسفة يمكن أن نتأمل القضايا فى إطار الماضى كما يمكن تأملها فى إطار الحاضر .

وفى إطار الفلسفة الإسلامية يمكن تطبيق هذا المنهج كما يمكن بحث قضاياها على مستوى الميادين الأربعة الآتية:

أ) الفلسفة ، ب) علم الكلام ، ج) التصوف ، د) أصول الفقه.

وبذلك يستطيع أى باحث أن يمزج بين الفلسفة العامة وبين فكرته مراعيا إذا أراد مسألة (المعرفة) أو (الحرية) أو (الحق) بهذه الميادين مع مراعاة الزمن والتحليل والغرض[1] .

---

(١) راجع فى ذلك ص ٣٩ من كتاب (أضواء على الفلسفة العامة) للدكتور عبد اللطيف العبد ، طبعة دار الثقافة العربية ، سنة ١٩٨٦ .

إن الفلسفة تهتم بتاريخها لأنها تحرص على أن ... النظر المختلفة للفلاسفة التي خاضوها في "وضع" قضايا أو ... مشكلات أخية .

ومن ذلك كان موضوع الفلسفة هو موضوع تاريخها أو كانت الفلسفة هي (تاريخ الفلسفة) وليس هذا شأن العلم حيث أنه لا يهتم بتاريخه بقدر اهتمامه بالنظر إلى الأشياء كما هي في عالم الواقع .

وإذا كانت المخلوقات تنقسم إلى قسمين :

أ - الإنسان . ب - ما عدا الإنسان من أشياء، أو الأشياء الخارجية من جماد ونبات وحيوان .

وهذا التقسيم نشأت عنه مشكلة . نستطيع أن نحددها في هذين العنصرين :

الأول: البحث في الإنسان وسلوكه وأخلاقه .

الثاني: المعرفة النظرية الخاصة بالعالم الخارجي والمستمدة من الأشياء ...

وبذلك يمكن تحديد موضوع الفلسفة والإنسان والكون .

يراجع في ذلك ص ... من كتاب معاني الفلسفة للدكتور أحمد فؤاد الأهواني.

مفهوم الفلسفة وموضوعاتها عند العرب :

الفلسفة كما عرفها اليونان من المعارف العقلية التى لم يكن للعرب معرفة بموضوعاتها التى بحثها اليونان ، وليس معنى هذا أنهم فقدوا العقل أو لا يعرفونه أو لا يعرفون طرقه وحججه وبراهينه .

هذا أمر خاطىء لكن هناك (الموضوعات) التى لم تعن العرب فلم يبحثوا عنها . وكانت معروفة عند اليونان كما أن هناك علوما أخرى عند العرب لم يعرفها اليونان .

الفلسفة عند العرب :

ومن هنا جاءت حركة الفلسفة عند العرب بمثابة محاولة منهجية مقصودة واعية تهدف إلى التعرف والإحاطة بالعلوم الأخرى وثقافاتها وهذا هو موقف العرب من الفلسفة وعلومها :

إستدلوا على ذلك بعدة أمور :

أ - إجمال المؤلفين العرب على أن موضوعات الفلسفة دخيلة على الفكر العربى والإسلامى ولذلك شاع لديهم وصف الفلسفة بأنها (علوم الأوائل) أو (العلوم القديمة) أو (العلوم المنتحلة) فى مقابلة (علوم العرب) .

أما وصف (العلوم المحدثة) فى مقابل العلوم الشرعية فقد ورد عند (إبن النديم) فى (الفهرست) . وعند (صاعد الأندلسى) وعند

(جمال الدين القفطى) كما ورد عند (الشيخ مصطفى عبد الرازق) بأن (مصدر الفلسفة عندهم يونانى) . [1]

يقول القاضى صاعد الأندلسى (وأما الفلسفة فلم يمنحهم الله عز وجل سبحانه شيئا منها ولا هيأ طباعهم للعناية به ولا أعلم أحدا من صميم العرب اشتهر بالفلسفة إلا أبا يوسف يعقوب إبن إسحق الكندى متوفى سنة ٢٥٢ هـ الموافق سنة ٨٦٦ م وأبا محمد الحسن الهمدانى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ الموافق سنة ٩٤٦ م .

ولأن العرب جردوا من الفلسفة وعلومها ولم يشتغلوا بها إبان الفتح فقد اضطروا إلى اكتسابها واستمدادها من المصادر اليونانية فى عصر نضج الثقافة العربية وانطلاقها إذ كان فلاسفة اليونان فى نظرهم المؤسسين لمباحثها ومناهجها والمبدعين لاصولها وفروعها) [2] (والعرب يحدوهم دائما بعد ما عرفوا الإسلام وأشربوا مبادىء قول الوحى الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها) .

وفى هذه المعانى يقول الفيلسوف العربى أبو اسحق الكندى (ومن أوجب الحق أن لا تذم من كان أحد أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية فإنهم وإن قصروا عن بعض الحق فقد كانوا لنا أنسابا

---

(١) راجع ، ص ٣٩ من كتاب تمهيد لتاريخ الفلسفة للدكتور مصطفى عبد الرازق.

(٢) راجع ، ص ٤٥ من كتاب طبقات الأمم لصاعد الأندلسى .

وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم التى صارت لنا سبلا وآلات مؤدية إلى علم كثير مما قصروا عن نيل حقيقته).

ثم يقول (وينبغى أن لا نستحى من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى وإن آتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة لنا فإنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق . وليس ينبغى بخس الحق ولا تصغير قائله ولا بالآتى به ولا أحد يخس بالحق بل كل يشرفه الحق)[1].

تعريف الكندى للفلسفة :

وإذا أردنا أن نستطلع معالم سريعة لمفهوم الفلسفة عند الإسلاميين فإننا نجد أن (الكندى) عرف الفلسفة الآلهية بأنها (البحث فى الوجود) أو (البحث فى المبادىء الأولى والمبادىء القصوى للوجود).

والفلسفة بصفة عامة عند الكندى هى (العلم الوحيد الذى يطلب لذاته منزها عن الأغراض) ولما للفلسفة من ميزة أنها أشرف العلوم وأعلاها مرتبة .

تعريف الفارابى :

ويقول أبو نصر الفارابى (الفلسفة وحدها وماهيتها هى العلم بالموجودات بما هى موجودة.

---

(١) راجع (وسائل الكندى الفلسفية كتاب الكندى للمعتصم بالله فى الفلسفة الأولى نشر وتحقيق الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده ، ص ٣٢ ؛ الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

تعريف: ابن سينا :

ونجد أن (ابن سينا) قدم تعريفا أشد وضوحا للفلسفة وهذا أمر طبيعي لأنه في عصره اتضحت الأمور.

فيقول ابن سينا في رسالة طبيعيات من كتابة عيون الحكمة. (الحكمة إستكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية) ، هذا هو مفهوم الفلسفة عند ابن سينا.

وينبغي أن نعلم أن مفهوم الفلسفة ومجالها قد تطور تطورا كبيرا على يد الفلاسفة المسلمين حيث واصل الفلاسفة مجهودهم ولم يأخذوا عن الأقدمين بلا وعي وإنما كان الأخذ أخذا ناقدا متأملا محللا مركبا.

ومن هنا دخلوا الفلسفة عند الآخرين وخرجوا بفلسفة ذاتية واعية تنسب إليهم باقتدار.

يقول أحد الباحثين: (لقد واصل الفلاسفة العرب المسلمون الجهد الفلسفي الذى بدأته المدارس اليونانية من قبل وتجاوزا مرحلة الأخذ والاستمداد منها ومن غيرها من المذاهب الفلسفية التى اتصلوا بها من هندية أو فارسية أو يونانية وانتقلوا إلى مرحلة أخرى هى مرحلة الهضم والتمثيل المنتج. ثم انتهى المسلمون إلى تأسيس نسق فلسفي متميز يقوم على التوفيق والانتخاب بين المقالات المتخالفة والمذاهب متنوعة ، وأوضح ما يكون ذلك فى مباحثهم المتصلة بالعلاقة

بين (الدين والفلسفة) أو بين (العقل والوحى) أو بين الحقائق البرهانية التى مسندها النهائى الحجة العقلية والتفكير المجرد والحقائق الدينية الثابتة بالوحى والنبوة والرسالة .

وإجماع الفلاسفة المسلمين منعقد على أن حقائق الدين لا بد وأن تتفق مع أحكام العقل ، لاعتقادهم الجازم بأن الحقيقة دينية كانت أم فلسفية أمر واحد لا يتجزأ أو لا يتفاوت فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له . [1]

ولعلنا بذلك نكون قد حاولنا توضيح موضوعها الفلسفة وكان ينبغى أن يدرك أنه بتعريفها العام قد اتضح موضوعها لأن مناهج البحث الحديثة قد يسرت استقلال المجالات الفلسفية بعضها عن بعض والمعروف عند الفلاسفة أن للفلسفة موضوعا تعالجه. وأن طبيعة موضوعها تحددها مناهج بحثه شأنها فى هذا شأن العلم الطبيعى فإن كان علما ميتافيزيقيا ، يكون منهج البحث فيه عقليا استنباطيا. وإذا كان موضوعها العلم الطبيعى فى (الجزئيات) المحسوسة كان أنسب منهج لدراستها هو إصطناعها المنهج التجريبى .[2]

ب – مبحث المعرفة وهو (الإسبتمولوجيا) .

---

(١) راجع فى ذلك كله كتاب المدخل إلى معانى الفلسفة للدكتور عرفان عبد الحميد فتاح ، ص ٦٥ ، نشر دار الجيل بيروت (قد إعتمد على كتاب تاريخ الفلسفة فى الإسلام لديبور وكتاب الفلسفة الإسلامية ومركزها فى التفكير الإنسانى لرتشارد فالترز.

(٢) ترجمة محمد توفيق حسين وكتاب فلاسفة الإسلام ، ص ٦٩ للدكتور فتح الله خليف وكتاب فصل المقال بين الحكمة والشريعة والإتصال لإبن رشد ، ص ٣١. ، راجع ص ٥٢ من كتاب أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل.

ج – مبحث القيم وهو (أكسيولوجيا).

أو فلسـفة القيـم ، وصـارت هـذه القضايـا هـى موضوعـات (الفلسفة العامة).

تصنيف العلوم الفلسفة

أشير قبلا إلى أن الفلسفة كانت تغمر الكون والحياة فـي جميـع الاتجاهات ثم انفصلت العلوم بعضها عن بعـض وبـدأت تتكـون إلى العلوم العقلية التى تتعلق بالمبادىء والعلل سواء كانت عللا كونية أو عللا عقلية .

ثم نضج العلم وبدأنا نجد أن العلوم الفلسفية قد تمحورت إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول :

١- فلسفة العلوم الطبيعية

وتشمل كل ما فى الكون من علوم مادية محسوسة لها جزئيا ت. ويمكن أن تضم هذه الجزئيات إلى معان (كلية) وهذه الكليات يمكن أن تنضم إلى آفاق ونظريات بحيث تتحول إلى (قانون) كلى عام .

٢- العلوم العقلية:

وهى تتمثل فى المبـادىء والنظريـات التـى توجـد فـى العقـل الخالص وتكون نبراسا له فى حركة الاستدلال والبرهان .

وهذا يدخل فى نطاق العلوم اللامادية سواء أكانت ميتافيزيقيـة أو غير ميتافيزيقية كالرياضيات .

وهناك معان تخدم العلوم والفلسـفية ومقدمـات فلسـفية تخـدم الفلسفة الطبيعية .

وهناك معان أو تمهديات تخدم الفلسفة الميتافيزيقية .

وكلها مقدمات فلسفية للعمل على إنجاح الفلسفة بصورة عامة.

بهذا التصنيف العام اتضح لنا: (مفهوم الفلسفة) ومدى التواصل الفكرى بين الكون والإنسان.

وإذا أردنا تصنيفا للفلسفة فى العصور المختلفة نجد:

أ - فى العصور القديمة:

كانت الفلسفة تصنف ضمن (الدين) عند الفراعنة وعند الصينيين وغيرهم بدأت الفلسفة تختلط (بالحياة).

ورؤى ذلك فى الفلسفة اليونانية عند (سقراط) وعند (أفلاطون) وعند (أرسطو) ثم بدأت الفلسفة تأخذ منحنى إستقلالى فبدأت تصنف على أنها منهج (العقل) واليقين أو التفكير والتأمل.

وبدأنا نرى ذلك حينما بدأت العصور تتضح موضوعات الفلسفة وتتحول إلى علوم مستقلة.

هذا مفهوم تصنيف العلوم فى العصور المختلفة والركائز الملفتة لنشاطها.

ونجد أحد الباحثين عند تحدثه عن (أرسطو) فيلسوف الإغريق:

يحدد بسرعة ملامح تصنيف العلوم فى عصر أرسطو وما قبله ومابعده وكيف تطور هذا التصنيف.

إنه يؤكد على أن أرسطو قد قبض بيديه على الوجود الواقعى ووسع علمه أقصى ما يفلت المعارف الإنسانية حتى ذلك الحين. ثم نفذ بعقله التحليلى الدقيق إلى كل هذا وذاك حتى أقام بناء شامخا دعائمه

الحقيقة الشاخصة، وأحجاره الوقائع المحسوسة المعقولة ، ونتائجه استدلال برهانى دقيق ، وقد ثبت أرسطو أقدامه فى الواقع بعد أن أستوثق من نفسه ثم قذف بها فى الكون المحدود النهائى إستطاع أن ينفذ فى تأمل محسوس فرفعه إليه وغاص فيه وجذبه.

هذا التردد فى أرسطو بين الماضى والحاضر والمعقول والمحسوس هو تصنيف العلوم فى جميع المعارف عند أرسطو كما يراه الباحث.(1)

نعود إلى أصل الكلام فنجد أن العلماء فى التصنيف قد ألحقوا بعض العلوم الفلسفية فى عصورها المختلفة.

---

(1) راجع ص ١، من مقدمة الدكتور عبد الرحمن بدوى لكتابه أرسطو نشر مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٤٣ .

علوم فلسفية
ظهرت فى عصور مختلفة

إن مؤرخى الفلسفة ألحقوا بها علوما أو دراسات أخرى جعلوها فروعا لها أو ذيل للفلسفة ألحق بها ، ومن أهمها ما يأتى:-

أولا: فلسفة القانون :

وقد كانت جزءا من فلسفة (الأخلاق) ثم اعتبرت ملحقا بالدراسات الأخلاقية ولكن العلماء فصلوها عندما فصلوا بين فكرة (العدالة) التى تقررها قوانين الدولة وفكرة (الأخلاق) التى يكون فيها الإلزام باطنيا يصدر عن الضمير ويمكن أن نعتبر من علماء هذه الفلسفة (مونتسيكو) ، ت/ سنة ١٧٥٥ م .

ثانيا : فلسفة الدين :

أدخل الفلاسفة فلسفة الدين فى نطاق الفلسفة وفرقوا بينها وبين (علم اللاهوت) أو علم (الربوبية) ويسمى هذا النوع من الفلسفة (علم الكلام) أو (علم التوحيد) إذ اللاهوت وهو علم يتصل بالله مهمته البحث فى عقيلة دينية معينة ومحاولة تأيدها بالحجة والمنطق.

أما فلسفة الأديان فإنها تتخطى علوم اللاهوت إلى البحث فى المفاهيم الكلية التى تستخدمها هذه العلوم ودراستها دراسة نقدية كمفهوم الله والوحى والعبادة ، وقضايا أخرى فى الجانب الآلهى .

قد كانت فلسفة الدين تدخل فى تصنيف العلوم الفلسفية عند قدماء اليونان كجزء من مفهوم مابعد الطبيعة، ثم استقلت عنها وكانت عند بعض أتباعها حربا على الأديان ثم عند البعض الآخر تأييدا للعقائد الدينية وتدعيما لها .(1) .

ثالثا: فلسفة التاريخ :

وتعنى بها فلسفة التاريخ بتفسير مجرى التاريخ فى ضوء نظرية فلسفية عامة موحدا فى كل غير مفصل إلى أحداث .

وبذلك نضع لعلوم التاريخ أساسا فلسفيا عاما بتمحيص المنهج الذى يصنعه المؤرخون سواء أكان تجريبيا أو استنباطيا أو مزاجيا.

وهذا النوع من فلسفة التاريخ يكشف عن تفسير لتاريخ البشرية فى (وحدة) بعيدة عن (الموضوع) بحيث نصل إلى منهج عقلى يقوم على (فرض الفروض) بأدلة تتمشى مع منطق الواقع .

وفائدته الاستدلال بأحداث الماضى على ميول الإنسان وأفكاره التى كانت حواس تاريخ تطبيقا لها وتأويل الحوادث التاريخية فى ضوء نظرية فلسفية وهو يشبه (فلسفة العلم).

هناك فى تصنيف الفلسفة الكثير من المواد والعلوم من الفلسفة ولكنها استقلت .

---

(1) راجع (الدين والفلسفة والتاريخ) ، ترجمة توفيق الطويل ، نشر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، أكتوبر سنة ١٩٥٠ م .

ويكفى أن نشير هنا فى مجال العلوم الإنسانية بعد أن أشرنا فى مجال العلوم الطبيعية .

فوجدنا أن أول العلوم الإنسانية التى كانت ضمن تصنيف الفلسفة ولكنها استقلت عنه هو (علم الاقتصاد) وآخرها الآن يحاول الاستقلال (علم النفس) و(علم الاجتماع)وقد كانت تدرس هذه العلوم كلها ضمن الفلسفة ولكنها الآن تحاول أن تستقل أو استقلت فعلا عن الفلسفة وعلومها .

الحقيقة : أن استقلال العلوم عن الفلسفة كالعلوم الطبيعية كان واضحا لأن نتائجها يقينية .

أما استقلال العلوم النظرية عن الفلسفة فليس واضحا تماما وإن كانت اتضحت مسائله ، لأن الاتصال فى العلوم الإنسانية فيه تمازج بالإنسان والعقل والمفهوم التصورى .

لكن الملاحظ حقا : أن الطب والهندسة والرياضيات وكل العلوم الطبيعية بعد أن استقلت وقطعت شوطا طويلا فى استقلالها وابتعادها عن الفلسفة وجدنا أنها الآن تحاول أن تعود مرة ثانية إلى أحضان (الفلسفة العامة) .

أعنى : أننا نجد فى البحوث (الأكاديمية) رسائل عن (فلسفة الهندسة الفراغية) و (فلسفة التجميع العضوى) لجهاز كذا الطبى . وغير ذلك . بما يدل على مدى العودة الفلسفية.

وهكذا نجد أنه يجمع علة وظائف فـــى تجريـد مسـتمر والعـودة بذلك إلى مفهوم (الفلسفة العامة) أو (العموميات) أو معنى (النظرية الكلية).

وهذا يدل على أن الإنسان إنسان ، والكون كـون ، والإتصـال بينهما مباشر . والفصل بينهما بطريقة قطعية عقليـة أمـر يكـاد يكـون مستحيلا .

أمـا الفصـل فـى (الدراسـة) أو الفصـل فـى (التصنيـف) أو الفصل فى (التقدير) أو الفصل فى جعل المسائل المتشابهة قريبـا مـن بعضها فإنه ممكن ومطلوب لكن الفصل التام فهو أمر صعب تماما.

لابد إذا أردنا أن نصنف العلوم الفلسفية أن نخضع لتعريف معين من تعريفات الفلسفة وهى كثيرة ، ولهذا فإن الاختلافات القائمة بين تعريفات الفلسفة هى التى ستكون السبب فى الاختلافات التى لحت عند العلماء عند عرض التصنيفات والعلوم الفلسفية.

ولعلى بهذا أشير إلى أن تصنيف العلوم الفلسفية اختلف فيه من (مدرسة) إلى (مدرسة) ومن مصنف إلى مصنف.

وقد جاءت على النحو الآتى :

أولا :تصنيفات القدماء:

١) تصنيف أفلاطون :

يعتبر أفلاطون أقدم من قام بتصنيف العلوم الفلسفية تصنيفا نعرفه تاريخيا ويعرف (بتصنيف أفلاطون للفلسفة) وهو يتناول الفلسفة بإعتبارها جامعة لكل العلوم .

وقد قسم أفلاطون الفلسفة إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

القسم الأول :

(سماه الجدل): وهو يشمل الفلسفة النظرية من منطق ميتافيزيقيا. أى أنه ينظر فى العلم الإنسانى فى طبيعة الوجود الإنسانى وفى مسائل مابعد الطبيعة كعالم (المثل) الآهى والمعقولات على وجه العموم.

القسم الثانى :

ويشمل(الفلسفة الطبيعية) ويدخل فى ذلك الفيزياء والكيمياء والطب والهندسة والفلك وكل ماهو محسوس أو مادى.

القسم الثالث :

(الأخلاق) أى العلم الذى يبحث فى السلوك الإنسانى من جانب أنه فرض.

٢) تصنيف أرسطوا:

نجد أن شراح أرسطوا قد استنبطوا من عرض أرسطو لموضوعات الفلسفة أن أرسطو : مال إلى تقسيم الفلسفة تقسيما ثنائيا.

ولذلك وجدنا أن شراح أرسطو قد قسموا الفلسفة إلى :

أ – قسم نظرى .

ب – قسم علمى .

وهذا التقسيم عرضه علينا الإسكندر الأفروديسى وأمونيوس. وفيدون .

قد عرفوا العلم النظرى بأنه (العلم الذى تطلب فيه الحقيقة لذاتها دون نظر إلى المنفعة).

أما العلم العملىفهو (ما يهدف إلى المنفعة العملية) وضربوا مثالا لهذا النوع : بأن ماجاء فى كتاب (الأخلاق إلى نيفوماخوس) لأرسطو يعتبر أساسا لهذا التصنيف الذى ساقه الشراح . فإن أرسطو فى هذا النص يعارض المعرفة لذاتها بالعمل.

ولأرسطو تصنيف آخر فى الميتافيزيقيا . وفى هذا التصنيف يميز أرسطو بين ثلاث مجموعات من العلوم هى :

أ – العلوم النظرية.

ب – العلوم العملية.

ج – العلوم الشعرية .

أما موضوع العلوم النظرية فهو : طلب الحقيقة والمعرفة مجردة لذاتها.

وموضوع العلوم العملية غايتها المنفعة العملية.

أما موضوع العلوم الشعرية فإنتاج فنى على اختلاف أنواعه(١).

(١) راجع التفصيل فى ذلك فى كتاب (تاريخ الفكر الفلسفى) للدكتور محمد على أبو ريان الجزء الثانى (أرسطو).

أقسام العلوم النظرية

تنقسم العلوم النظرية إلى الأقسام الآتية :

أولا : العلم الرياضى .

ثانيا: العلم الطبيعى

ثالثا : علم ما بعد الطبيعة .

وتبحث هذه العلوم فى الوجود من حيث هو (متحرك) محسوس وهذا هو ميدان (العلم الطبيعى).

ومن حيث هو (مقدار وعدد) مجرد عن المادة وهذا هو موضوع (العلم الرياضى) .

ومن حيث هو (وجود) بالإطلاق وهذا (ميدان مابعد الطبيعة).

ويطلق أرسطو على مابعد الطبيعة (الفلسفة الأولى) وعلى العلم الطبيعى (الفلسفة الثانية).

وهو لا ينظر إلى الرياضيات كما ينظر إليها أتباع أفلاطون فيرى أنها جزء من الموضوع الطبيعى ولا تقوم مطلقا على حقائق مفارقة للموضوع الطبيعى كما رآى أفلاطون وظهر ذلك فى نظرية (المثل الأفلاطونية.

أقسام العلوم العملية

وتنقسم العلوم العملية عند أرسطو إلى (الأخلاق والسياسة وتدبير المنزل) .

ويعنى بتدبير المنزل تربية الأولاد ومراعاة النشىء والطفل وسياسة الأسرة والحركة الاجتماعية .

وليس كما يتبادر إلى الذهن من مغنى (التدبير المنزلى العصر الحديث) بل هو أوسع وأشمل إذ أنه مايدور الآن بكليات التربية وعلوم التربية.

ويلاحظ أن أرسطو لم يدخل (المنطق) فى تصنيفه للعلوم النظرية .

لأن موضوع المنطق عنده ليس الوجود وإنما هو (علم قوانين الفكر) بقطع النظر عن موضوعات الفكر ، أى الموضوعات.

وقد سماه (آلة للعلم) لابد منها لدراسة موضوعات الفكر.

ثالثا
تصنيف الفلسفة عند المدارس الفلسفية

تصنيف الأبيقورية والرواقيين . ويمكن عرضها كالآتى :

١ - الفلسفة عند الأبيقورية :

هى الحكمة العملية التى توفر السعادة للإنسان عن طريق الإستدلال والفكر .

وأقسام الفلسفة عندهم تصنف على أنها :

أ - الأخلاق ب - المنطق ج - العلم الطبيعى .

فالمنطق عندهم صنف من أصناف الفلسفة وليس أداة كما عند أرسطو .

إذ المنطق ينقد به (المعرفة) وينظر فى علامات الحقيقة فى الطريق لليقين .

والأخلاق عند (الأبيقوريي)ن هى محور الفلسفة يخدمها المنطق وعلم قوانين الفكر ثم يخدمها العلم الطبيعى .

الفلسفة عن الرواقيين :

يمكننا أن نرى تصنيف الفلسفة عند (الرواقيين) من تعريفهم للفلسفة أنها (محبة الحكمة وممارستها) وليست الحكمة إلا الأشياء الإلهية والإنسانية.

وعلى ذلك تنقسم أصناف الفلسفة عند الرواقيين إلى:

أ- العلم الطبيعى ، ب- الجدل أى: المنطق ، ج- الأخلاق.

ومعنى هذا : أن المنطق هو صورة الطبيعة فى العقل والأخلاق.

تصنيفات المسلمين للعلوم الفلسفية

نستطيع أن نلاحظ فى العصور الأولى لحركة النشاط الفلسفى الإسلامى أن الفلسفة الإغريقية كانت لها الحظوة عند كثير من العقول وكان التأثر بها فى موضوعية. فقد نوقش فيها جانب الصواب وابتعد عن جوانب الخطأ فيها.

وكان من الطبيعى أن نجد تأثرا للمسلمين فى مجال (تصنيف العلوم الإنسانية) قد تلقى المسلمون تصنيف (أرسطو) باعتبار أنه شئ جوهرى .

وقد جاء هذا التصنيف على النحو الآتى :

أولا : تصنيف العلوم عند الكندى

قام الفيلسوف (الكندى) بتصنيف العلوم حسب تعريفها عنده فالفلسفة عنده (علم كل شىء) ويقسمها إلى(علم وعمل).

والعلم عنده هو وظيفة القسم الناطق بالنفس أما العمل فهى وظيفة القسم الحسى.

وينقسم العلم النظرى عند الكندى إلى قسمين:

أ – علم الأمور الآلهية .

ب- علم الأشياء المصنوعة أى (المخلوقات).

ونجد أن (ابن نباتة) يذكر من كلام الكندى فى الفلسفة أن علوم الفلسفة ثلاثة :

أ - العلم الرياضى أى (التعاليم) وهو أوسطها فى الطبع.

ب - علم الطبيعيات وهو أسفلها فى الطبع .

ج - علم الربوبية وهو أعلاها فى الطبع .

وعلم الرياضيات عند الكندى يشتمل على دراسة العدد والهندسة والتنجيم .

ويلاحظ أحد الباحثين أن (الكندى) أغفل ذكر (المنطق) فى تقسيمه للفلسفة ولم يعرض بالتفصيل لأقسام الفلسفة العملية بل أشار إليها إشارة مجملة[1]

ثانيا: تصنيف العلوم الفلسفية عند الفارابى:

لا نجد بين فلاسفة الإسلام فيلسوفا اهتم اهتماما بالغا بدراسة تصنيفات العلوم مثل (الفارابى) حتى أنه أفرد لها مؤلفا خاصا بها أطلق عليه إسم (إحصاء العلوم) .

وكتاب (تصنيف العلوم) عند الفارابى يعد من أهم كتبه على الإطلاق .

ويقول عنه (صاعد الأندلسى) صاحب الطبقات: (ثم له أى للفارابى كتاب شريف فى إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق

(١) راجع كتاب (الفلسفة الإسلامية شخصياتها ومذاهبها) ص ٢٣ للدكتور محمد على أبو ريان.

إليه، ولا ذهب أحد مذهبه فيه ولا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به وإمعان النظر فيه).

وقد تكرر هذا الثناء على كتاب(إحصاء العلوم) فى كتب لمؤرخين آخرين مثل (القفطى) و (ابن أصيبعه) و(ابن رشد).

وقد تأثر بهذا المؤلفون الإسلاميون ، فوجدنا أن (رسائل إخوان الصفا) التى ظهرت فى منتصف القرن الرابع الهجرى تتأثر بطريقة كتاب (إحصاء العلوم).

ففى رسائل (أخوان الصفا) نجد تقسيما للعلوم وتعريفا لكل فرع منها على طريقة الفارابى .

وممن اتبع هذا الأسلوب أيضا (الخوارزمى– توفى سنة ٢٧٧هـ سنة ٩٩٧م) وذلك فى كتابه (مفاتيح العلوم) .

رغم أن أساس التقسيم عند (الخوارزمى) يختلف كثيرا عنه عند (الفارابى).

كذلك وجدنا (ابن سينا) فى كتابه (الشفاء) وفى رسالة (أقسام العلوم العقلية) يستفيد من تقسيم العلوم الذى أورده الفارابى .

يقول أحد الباحثين عن أثر الفارابى فى تصنيف العلوم وتقسيمها: أن منهج الفارابى قد تأثر به الكثير ممن جاء بعده حتى أننا وجدنا بعض العلوم الأخرى غير الفلسفة تتأثر بكتاب الفارابى مثلما ودناه عند (شمس الدين السخاوى متوفى سنة ٧٤٩ هـ). وله رسالة

بعنوان (إرشاد القاصد إلى أسمى المقاصد وهـو يتحـدث عـن تصنيـف العلوم).[1]

ونجد أن (ابن خلدون) فى (مقدمتـه) ينـهض لمحاولـة واسـعة لحصر العلوم وتصنيفها. وحاول أن ينظم العلوم القديمة والتى شـاعت فى عصره مبينا طرقها وشرح مراميها وكيفية تعليمها .

وعلى ذلك نجد من يقول:

(فمقدمة إبن خلدون تعـد إذن محاولـة تطبيقيـة لأى تصنيـف مبدئى للعلوم) (٢) .

كما رأينا تصنيفا للعلوم عند (طاش كبرى زاده) المتوفى سـنة ٩٦٨ هـ فى كتابـه (مفتـاح السـعادة ومصبـاح السـيادة) والـذى يعتـبر موسوعة باللغة العربية. أحصى فيـها العلـوم وموضوعاتـها ومؤلفيـها وقسم فيها العلوم إلى سبعة أصناف.

ثم جاء بعده (مصطفـى عبـد الله) الشـهير (بحـاجى خليفـة) المتوفى سنة ١٠٩٧ هـ وألف موسوعته المشهورة (كشـف الظنـون عـن آسامى الكتب والفنـون) وضمنـها أسمـاء المؤلفـين والكتـب الفارسـية والتركية والعربية. وغيرها . وأشـار فيـها إلى ماهيـة العلـم وموضوعـه وغايته وأقسامه .

---

(١) يراجع ، ص ١٠٧ من كتاب (الفلسفة ومباحثها) د/ محمد على أبو ريان .

(٢) راجع ، ص ١٠٩ من كتاب (الفلسفة ومباحثها) للدكتور محمـد علـى أبـو ريان.

وتكلم (حاجى خليفة) عن نشأة العلوم والكتب فى بلاد الشرق.

وآخر من تأثر بكتاب (إحصاء العلوم) فى العالم الإسلامى (صديق حسن خان) متوفى سنة ١٣٠٧ هـ وذلك فى كتابه (أبجد العلوم).

وكذلك أيضا (المولولى التهانوى الهندى) فى كتابه (كشاف إصطلاحات الفنون) وهؤلاء جميعا تكلموا عن تصنيف العلوم وتصنيف الفلسفة فى نطاق الإسلام .

وهكذا تجد تاثير الفارابى فيمن جاء بعده من المسلمين فى الشرق حتى القرن التاسع عشر الميلادى.

يقول الدكتور محمد على أبو ريان (أما تأثير كتاب الفارابى فى الغرب المسيحى فإنه يحتاج إلى دراسة واسعة لكننا نستطيع أن نقول إن تأثير هذا الكتاب على الغرب المسيحى ظل واضحا جليا إلى القرن السابع عشر الميلادى ، وقد ترجم إلى اللاتينية عدة مرات فى القرن السادس عشر منها ترجمة الفيلسوف (دومينوس جندى سالينوس) ، وهذه الترجمة غير الكاملة قد تصرف فيها المترجم على طريقته الخاصة وسماها (تقسيم الفلسفة) وهناك ترجمة أخرى قام بها (مرارذى كريمونا) وهذه ترجمة دقيقة ، وقد ترجم الكتاب إلى العبرية (كليمونوس ابن كليمونوس المتوفى سنة ١٣٢٨ م) وقد تأثر بهذا الكتاب من الغربيين كثير منهم (دوجو بيكون) و (ميريرديمورافيا) و (ديموندالين)

ثم (فرنسيس بيكون) فيما بعد وغير ذلك كثيرون.[1]

وقد رأيت أن هذا الموضوع أثر تأثيرا فى العلماء حتى كاد أن يكون حجة عندما يذكر كلمة تصنيف العلوم الفلسفية يذهب العقل إلى كتاب الفارابى فى تصنيف العلوم وقد حاول الكثير أن يأتى على فهرست لهذا الكتاب وهو فهرس طيب لكنه طويل .

موضوع علم كتاب (تصنيف العلوم) (احصاء العلوم) .

يحدد الفارابى موضوعه فى مقدمته فيقول : قصدنا من هذا الكتاب أن نحصى العلوم المشهورة علما علما وجعله فى خمسة فصول–

الفصل الأول فى علم اللسان .

والفصل الثانى فى علم المنطق وأجزائه.

والثالث فى علم التعاليم والرياضة .

والرابع فى العلم الطبيعى وأجزائه وفى العلم الإلهى وأجزائه.

والخامس فى العلم المدنى وأجزائه وفى علم الفقه وفى علم الكلام .

هذا هو منهج كتاب تصنيف العلوم ومن هنا نجد فيه المنطق ونجد فيه التعاليم ونجد فيه الفلسفة بأنواعها.

ولعلى بذلك أن أكون قد اختصرت موضوع كتاب تصنيف العلوم وهو كتاب جيد ورائع.

---

(١) راجع ص ١١٠ من كتاب (الفلسفة ومباحثها) للدكتور محمد على أبو ريان ، وقد اعتمد على (النشرة النقدية) لكتاب إحصاء العلوم والتى أخرجها الدكتور عثمان أمين وقدم لها بمقولة مستفيضة عن أثر ها الكتاب فى العالمين: الإسلامى والمسيحى .

رابعا

تصنيف العلوم الفلسفية عند المحدثين

أو

فى الفلسفة الحديثة

هذا التصنيف اتجه بالتدريج إلى التزام الناحية التجريبية والوضعية وأخذ طريقه للانفصال تدريجيا عن الفلسفة إلى الإتجاه التجريبى .

١- تصنيف بيكون :

- ويمكن أن نقف على ذلك في تصنيف (فرنسيس بيكون متوفى سنة ١٦٢٣ م) .

فإنه أول ما يقابلنا من (تصنيفات العصر الحديث) فقد تناول علوم العقل، أى : الفلسفة وقسمها باعتبار أنها موضوعات للجانب الإلهى والطبيعة والإنسان إلى ثلاثة أقسام :

١ – الفلسفة الآلهية ، ٢- والفلسفة الطبيعية ،٣- والفلسفة الإنسانية . أى : كل ما يتصل بالإنسان .

سواء كانت تشريحا أو علم نفس أو علاقات سياسية .

٢- تصنيف ديكارت

اعتمد (ديكارت) فى تصنيفه للعلوم الفلسفية على استعراضه للمعرفة على وجه العموم .

لأن الإنسان عنده لا يملك سوى (المعرفة) التى يمكن تحصيلها وعليه أن يؤلف لنفسه أولا مذهبا أخلاقيا لتنظيم أعماله فى الحياة ثم يتجه لدراسة المنطق، ثم من المنطق يتعلم كيف يكشف عن الحقائق التى يجعلها ، وبالتدريب يصل إلى مسائل الرياضيات.

العلوم عند (ديكارت) هى الفلسفة الحقة والميتافيزيقيا جزؤها الأول، والأخلاق هى آخر مراتب الحكمة عند (ديكارت) .

فالفلسفة بأسرها عند (ديكارت) أشبه بشجيرة جذورها الميتافيزيقيا وجذعها الفيزياء والفروع التى تخرج من هذا الجذع هى كل العلوم الأخرى التى تنتهى إلى ثلاثة علوم رئيسية هى : (الطب والميكانيكا والأخلاق). ويقصد بالأخلاق الأوقع والأكمل التى كانت تفترض معرفة ما بالعلوم الأخرى وقد بلغت المرتبة الأخيرة من مراتب الحكمة [1] .

٣- تصنيف أوجست كونت :

ونلاحظ أن (أوجست كونت) فى القرن التاسع عشر يتبنى نفس الاتجاه التى ذهب إليه (ديكارت) فى تصنيفه للعلوم من البسيط إلى المعقد تأثرا بديكارت.

---

(١) راجع كتاب (مبادىء الفلسفة) لديكارت ، ص ٧ ومابعدها، ترجمة الدكتور عثمان أمين.

٤- تصنيف ديلامبير:

يميز (ديلامبير) بين العقل والمادة ويجعلها أصنافا أساسية لتصنيفه للعلوم والفلسفة.

وقد قسم (لاتبير) العلوم إلى قسمين :

أ - العلوم العقلية ، ب - والعلوم الطبيعية .

أ - أما العلوم الطبيعية فلها فرعان : ١) علوم المادة البحتة ، أي: الجماد ٢) وعلوم المادة الحية كالتاريخ الطبيعى والعلوم الطبيعية .

٥- تصنيف هيجل :

استطاع (هيجل) أن يحدد العلم المطلق ومبادىء المعرفة وأصولها واهتم تماما بالمعرفة أى (الإبستمويولوجيا) وهى العلم الذى يبحث أصل المعرفة من ناحية مادتها . ثم البحث عن هذه المبادىء سواء أكان: علم ما بعد الطبيعة أو فلسفة الطبيعة أو فلسفة العقل.

٦- تصنيف ألبرت سبنسر :

ألبرت سبنسر فيلسوف إنجليزى من فلاسفة القرن التاسع عشر، إنتقد تصنيف (أوجست كونت) وقسم العلوم بدوره إلى ثلاثة أقسام .

القسم الأول: العلوم المجردة .

مثل المنطق والرياضة.

القسم الثانى : العلوم المجردة المشخصة

أو علـوم الظواهـر الطبيعيـة ، وهـــى علـــم الحركةوالطبيعـــة والكيمياء.

القسم الثالث : العلوم المشخصة:

أو علوم الموجودات وعلم الفلك وعلم طبقات الأرض وعلـــم الحياة وعلم النفس وعلم الاجتماع .

علاقة الفلسفة بغيرها من المجالات

إن الفلسفة ليست منعزلة عن الإنسان طالما هـى نتـاج العقـل والفكر ، والعقل والفكر يتناول جميـع شئون الحيـاة وقضايـا ومبـادئ الفكر فليس هناك شيئا بعيدا عن تناول الفلسفة طالمـا هـى فـى دائـرة الفكر والعقل .

لكننا نحاول أن نحدد علاقتها بأشياء محددة مثل :

١- الفلسفة والدين .

٢- الفلسفة والعلم .

قد سبق أن تحدثنا عن علاقة الفلسفة بتاريخ الفلسفة.

علاقة الفلسفة بالدين:

إن الدين هو الطاعة وهو مناط الخير.

والأقدمون أطلقوه على : وضع إلهى يسوق ذوى العقول إلى الخير. أو : (هو ما شرعه الله تعالى لعباده من السنن والأحكام بواسطة الوحى إلى الأنبياء والرسل) .

ولا يمكن لدين سماوى أن يتعارض مع علم صحيح أبدا وكل ادعاء لأى تعارض لا يدل إلا على جهل أو فساد فى الفكر .

أما الفلسفة فهى علم عقلى أساسه النظر والفكر قد وصفها الكندى فى رسالته عندما أكد أن أعلا الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة هى (صناعة الفلسفة).

إن الفلسفة تفسير شامل للكون ككل من وجهة نظر المفكر أو الفيلسوف. فهى نتاج بشرى.

أما الدين فإنه معرفة موحى بها الكون للعقلاء من حيث أنها مخلوقات صادرة عن الله تعالى.

ولقد استخدمت الفلسفة عند القدماء الشرقيين كأداة لخدمة الدين.

واستخدمت الفلسفة فى العصور الوسطى للتوفيق بين العقل والنقل كما حدث للفارابى وابن رشد.

واستخدمها علماء (اللاهوت) فى الغرب وعلمـاء (الكـلام) فى الإسلام للذود والدفاع عن العقيدة الدينية .

فقد ذهب رجل الدين المسيحى (أنسيلم) المتوفـى سـنة ١١٠٩م إلى أن الايمان ضرورى للعقل وشرط لصحة التفكير.

والأصل فى الفلسفة أنها علم "ومعرفة" وأنـها لا تبـدأ أبـدا بفكرة سابقة لأن هذا يسد الطريق على الحقيقة ويضيق أفق الفكر .

وليس مهمة الفلســفة أن تـبرهن علـى (الديـن)، لأن الديـن أعظم من أن يبرهن عليه بالمنطق والفلسفة .

كما أنه كما يقول أحد الباحثين: ليس من واجب الفيلسوف أن يبدأ بتصور معين للدين ويحاول تطبيقه على فلسفته أو يجعـل فلسـفته خادما لهذا التصور، ويقول (خلط الفلسفة بالدين يضر به لأنه يعرض عقائده وهى (عواطف قدسية) تتأثر بها النفس كما تتأثر بها فى معنى (الجمال). إن مناقشات العقل ومناقضاته يضـر بالفلسـفة كذلـك لأنـه يجعل البحث والنظر فى حقائق الموجودات غير واحدة هى تأييد عقائد الدين فتأخذ الفلسفة شكلا دينيا لا يتناسب مع حرية البحث والنقد.

ولما كان غاية الدين والفلسفة إسعاد الإنسان كانت العناية بهما من ضرورات الحياة ولا تتنافى بينهما كمـا يظـن البعـض فـإن الديـن طريق القلب والعواطف والفلسفة طريقها العلم والنظر. [1] .

---

(١) راجع فى ذلك كتاب (أصول الفلسفة) ، ص ٦ لأمين واصف .

ويلاحظ هنا أن هذا الباحث يتحدث عن الدين المسيحى لأن اللاهوت المسيحى هو الذى يفرق بين الاستقبال بالعاطفة فى الجانب العقائدى وإستقبال العقل فى الجانب العملى .

أما فى الإسلام فإننا لا نعرف هذه التفرقة فالعقيدة الإسلامية لا تخشى الإستقبال بالعاطفة أو بالعقل بل عن الاستقبال الأول فى العقيدة الإسلامية إنما هى بالعقل . (1)

ومن هنا فإن هذا النص المنتقد لست أدرى كيف غفل عنه الكثير ممن نقلوا ذلك عن كتب الفلاسفة ؟!.

وينبغى أن نشير إلى شىء هام . وهو : أن الفلسفة مهما ارتقت بأصحابها فإنها لا تغنيهم عن الدين الإلهى ، إذ قد يخلط الإنسان بين وجوده الذاتى والكون الخارجى فيضع الإنسان لنفسه مبادىء تناسب ذلك وقد لا يخلط بين ذاته والكون فيضع قواعد لذاته فقط وقد ينكر ذاته وينظر للكون ويضع قواعد للكون فقط.

فهذا كله قد يوقعه فى الزلل والخطأ وقد يكون له تأثير على حريته وكرامته أو أمته ومجتمعه أو يعوق مسيرته نحو الرقى وربما لا يظهر لهذه المبادىء تاثير سريع مباشر لكنه يظهر بعد أجيال.

يقول أحد الباحثين (وإذا كانت الفلسفة تضع كل سند موضع الشك لأنها تسير على روح البحث الحر فإن جوهر الدين هو الإيمان

---

(١) راجع فى ذلك تفصيلا كتاب (رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده ، نشر دار المعارف.

وهو أى الدين ينشد الحقيقة بوصفها كلا لا يتجزأ مما يقصر عنه إدراك الفلاسفة والعلماء.

وبالنسبة للإسلام فإنه دين له خصائصه الذين يمتاز بها والتى لا يستطيع مذهب فى الدنيا أن يباريه فيها سواء أكان فى نظام الحكم أم السياسة أم الأخلاق أم الاقتصاد .

والإسلام بوضعه الإلهى يرفض أن تكون للمسلم عقيدة مؤسسة على مذهب خيال سواء كانت هذه العقيدة فلسفية أم عقيدة إيديولوجية لأننا نرى أن الإسلام وضعه الله وأساسه القرآن والوحى).(1).

---

(1) راجع فى ذلك الدكتور محمد البهى ، كتاب الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، ص ٤١ ومابعدها.

الفلسفة الإسلامية
والدين

إمتازت الفلسفة الإسلامية عن غيرها من الفلسفات الأخرى بأنها خضعت لمبادئ الإسلام إذ أنها جعلت غايتها الوصول إلى العقيدة فى الله تعالى ونبذ كل نظرية تدعو إلى الشك أو الإلحاد أو وضع الميتافيزيقيا أو العالم الإلهى فى وضع يخالف ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية .

هنا نأتى إلى سؤال : ما حاجة المسلمين إلى الفلسفة بعد أن عاشوا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وبعده دون فلسفة ؟..

ونستطيع أن نقول إن هذه الدراسات احتاجها المسلمون بعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

فقد وجدنا أن كثيرا من اللغات واللهجات من الشعوب التى أسلمت وكثيرا من العقائد وبقايا العقائد الضالة والوثنيات إنتقل بها أصحابها وهم لا يدرون أنها تؤثر فى صفاء العقيدة الإسلامية وفى صفاء التوحيد .

هنا احتاج الناس الذين يريدون التنزيه الصادق والصفاء للعقيدة الإسلامية إلى دراسة هذه العقائد الضالة والوقوف على الفلسفات التى جاء بها هؤلاء الذين دخلوا فى دين الله أفواجا.

وعندما اختلطت الثقافات وتعددت الفلسفات وكثرت الآراء وتمازجت الأفكار وكاد أن تحدث أمور كثيرة . لولا أن أراد الله لهذه الأمة الإسلامية عقولا رائعة وهيأ إدراكا عند العلماء استطاع أن يميز الخبيث من الطيب وأن يقوم بالدفاع عن الإسلام وأن يظهر بالحجة والبرهان الحق الذى جاء به الوحى .

من هنا كان لابد لحماية العقيدة وصفاء الإسلام أن تتخذ المناهج من أجل الصفاء .

(والمسألة هنا ليست رمحا وسيفا وإنما هو فكر وثقافة ومقارعة بالحجة والبرهان). (1)

كذلك فإن أعداء الإسلام أصحاب العقائد والمذاهب التى أزالها الإسلام بقوته العقائدية أضمروا الحقد على العقيدة الإسلامية.

من هنا انبرى فلاسفتهم وكهنوتهم إلى بث الاعتراضات وإثارة التناقضات والقلاقل فى عقول أتباعهم وغير أتباعهم .

مما جعل علماء الإسلام يرون أنهم فى حاجة إلى المحاجة وإلى الدفاع عن الإسلام حسبة لوجه الله تعالى .

ولذلك رأينا فلاسفة الإسلام ينقسمون فيما بينهم إلى عدة اتجاهات:

---

(1) يراجع فى ذلك كتاب (تأملات فى الفكر الإسلامى) للدكتور محمد كمال جعفر، ص ٩٣، ومابعدها .

أولا : الفلاسفة الإسلاميون :

مثل الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد ، وهؤلاء يذكرهم الباحثون فى الفلسفة بإكبار لأنهم دافعوا عن بيضة الإسلام بطريقة فلسفية .

فمن هنا كان لهم الوضع العظيم فى النفوس حتى لقب الفارابى بالمعلم الثانى تشبيها بالمعلم الأول أرسطو .

فقد قالوا بإله واحد وتأملوا الكائنات الطبيعية وبحثوا فى الحقائق وبحثوا عن أصول الأخلاق والتفتوا إلى المنطق وتكلموا فى ألوان المعارف والثقافة كمنهج عقلى ، وقدموا بحوثا فى مبادىء الإسلام وتعاليمه ولم يتابعوا فلاسفة الإغريق فى أمور الشك والزندقة والإلحاد.

ثانيا : علماء الكلام فى الإسلام :

وهؤلاء العلما جعلوا مبادىء الإسلام لا مبادىء الفلسفة هى أساس فلسفتهم ، إذا كان الفلاسفة انسلخوا من الفلسفة إلى أعلا وهو الدين. فإن علماء الكلام جعلوا الدين أساسا لفلسفتهم أى هو كل شىء.

من هنا كانت رؤية علماء الكلام الإسلامى إماتفسير تعاليم الإسلام أو تأويلها تأويلا عقليا فلسفيا بما لا يهدم نصا من القرآن أو السنة.

وكان منهج هؤلاء المتكلمين طريقه (الجدل) وهو منهج كانت موضوعاته محددة وهو : الألوهية والصفات . وكثير من الأمور المرتبطة بالعقيدة والدين.

ورغم أنهم انقسموا إلى (معتزلة وأشاعرة) والمعتزلة هم الذين يقدمون العقل على النص والأشاعرة يقدمون النص .

ورغم هذا فإنهم لم يتناقضوا أو يختلفوا أو يتناقشوا حول ما قرره الدين من آلهيات أو نبوات أو سمعيات لأن (أصول الدين) فى آيات القرآن الكريم و (أصول الدين) كلها (محكمة).

يقول الدكتور كمال جعفر : (إن ميدان الكلام أو البحوث الكلامية التى تبودلت بين الفرق الإسلامية لاعتبار هذا العلم باكورة عقلية من بواكير الفكر الإسلامى تحت ضغط الظروف المختلفة التى اكتنفت نشأته وأزكت ناره وألهبت سعيره ، وفى هذا العلم أى (علم الكلام) يصادف نظرية ومبادىء لا ينبذها العمق الفلسفى .[1])

ثالثا : (موقف المتصوفة من الفلسفة)

حاول البعض أن يخلط بين موضوعات الفلسفة فى إطار المناهج التى عند بعض المتصوفة .

فهذا الخلط الفكرى رأيناه عند هؤلاء. فقد رأينا (وحدة الوجود) وكيف تناقش ، ومفهوم الصفات ، والأسماء ، ومفهوم الحق .

---

(١) راجع ، ص ١٠٦ ، من كتاب (تأملات فى الفكر الفلسفى) .

وقد رأينا (الغزال)ى كيف نهض ليفصل بين الفلسفة والعقيدة وبين المذاهب الضالة مثل أصحاب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود .

يقول الغزالى : [إنه حينما يقول القائل إنتهى(الأمر إلى قرب) يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الإتحاد وطائفة الوصول وكل ذلك خطأ] [1].

هذا هو معنى علاقة الدين أو الصوفية بالفلسفة وغيرها ، فكانت أحوالهم مضطربة عندما حاولوا أن يغادروا كثير من المبادىء الإسلامية إلى مبادىء فلسفية محضة فكان ما كان من خلط واضطراب.

رابعا (الفلسفة وعلم أصول الفقة)

نكاد نتفق مع الأستاذ الشيخ الكبير (مصطفى عبد الرازق) على أن : علم أصول الفقه هو فلسفة مجردة رفيعة المستوى تكاد تكون نتاج عقل إسلامى خالص آخذ بمبادىء الإسلامى وبمبادىء الفكر وبمبادىء العقل .

ففى علم أصول الفقه تحليلات منطقية دقيقة للغة والفكر، وهى تشير إلى الطابع الفلسفى .

وقد أبان الشيخ مصطفى عبد الرازق أن علم أصول الفقه قوى الصلة بالفلسفة الإسلامية .

(١) هامش / ص ٦٥ من كتاب (المنقذ من الضلال) .

وإنه إذا كان عليم الكلام وعلم التصوف من الصلة بالفلسفة ما يسيء عند جعل اللفظ شاملا لهما .

فإن علم أصول الفقه المسمى أيضا (علم أصول الأحكام) ليس ضعيف الصلة بالفلسفة .

ومبادىء أصول الفقه تكاد تكون فى جملتها من جنس المباحث التى يتناولها علم أصول العقائد الذى هو علم أصول الكلام ، بل إنك لترى فى كتب الفقه أبحاثا يسمونها (مبادىء كلامية ، هى مباحث أصول الكلام ، وأظن أن التوسع فى دراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية سينتهى إلى ضم هذا العلم إلى شعبها). [1]

وهكذا نرى أن (أصول الفقه) علم دينى ، ولكنه وثيق الصلة بالفلسفة .

وعلى ذلك نستطيع أن نقول باطمئنان : إن الدين الإسلامى احتضن الفلسفة وطوعها وطهرها من الوثنيات والمذاهب الضالة ولم يستبق منها إلا أصول المعرفة العقلية والحجة والبرهان الذى قام على منهج صدق وعلى استدلال صحيح .

وبذلك يمكن أن نلمح بقوة كيف استطاع القرآن أن يظهر باطل فلسفات الأقدمين وأن يصحح مسيرة العقل الإنسانى .

---

(1) راجع ، ص ٢٧ ، من كتاب (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) للشيخ مصطفى عبد الرازق ، طبعة ١٩٤٤ ، نشر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

علاقة الفلسفة بالعلم
(فلسفة العلم)

نعلم أن العلوم الطبيعية نشأت فى أحضان الفلسفة واستقلت بنفسها عن الفلسفة الأم وكونت علوما لها يشار إليه بالبنان.

وإذا كان كل وليد لا يستطيع أن ينفصل عن أمه كلية فإن المشابهة وبصمات البيئة والتأثير والتأثر يظل واضحا فيه تجاه أمه.

ونستطيع أن نلمح هذا فى العلوم الطبيعية ، فكل علم طبيعى أمه الفلسفة .

ومن هنا فإن القول بانفصام تام بين الفلسفة وبين العلم قول "مردود ، وإن دعوة الانفصال الفكرى أو العقلى بين العلم الطبيعى والفلسفات أمر مردود أيضا .

وعلى ذلك نلمح الكثير من المزاوجة والتداخل والقرب بين (العلم) وبين (الفلسفة) .

ومهما يكن من شىء : فإن دعوى العداء أو (المخاصمة) أو (الإنفصال) بينهما : دعوى خاطئة تحتاج إلى دليل أو يعوزها الدليل .

من هنا كان كلامنا عن فلسفة العلم كلاما عن التقارب وكلام عن الانصهار والتمازج بينها وبين العلم الطبيعى من حيث إن كليهما يهدف إلى خدمة الحياة العلمية وإن بدت تطبيقات النظرية العلمية فى مجال الصناعة والزراعة أوضح وأظهر .

أما الفلسفة فإن غايتها تكون فى العقل والذهن ، الفيلسوف يتصف بحرية التفكير والشجاعة والروح النقدية وغير ذلك من المواقف التى توضح خصائص الموقف الفلسفى .

لكن ينبغى كما يقول أحد الباحثين (أن نلتفت إلى أنه لا يتصور من الموازنة بين العلم الطبيعى والفلسفة الميتافيزيقية قيام أى تعارض بينهما ، فإن ما بينهما هو اختلاف فى الموضوع أو المنهج ومرده إلى التخصص الذى ولع به المشتغلون بالتفكير فى العصور الحديثة وأدى بهم إلى الاختلاف فى وجهات النظر ومناهج البحث من غير أن يفسد هذا الاختلاف ما بين العلماء والفلاسفة من تعاون متبادل على كشف المناطق المجهولة من العالم الطبيعى . وظواهره توطئة لاستخدام قوانين العلم ومذاهب الفلسفة فى خدمة البشرية) .[1]

[1] راجع فى ذلك ، ص ١٢٩ ، من كتاب (أسس الفلسفة) للدكتور توفيق الطويل .

العلاقة التاريخية
بين
العلم والفلسفة

التفرقة بين المعنى الذى يحمله لفظ (علم) وبين كلمة (فلسفة) تفرقة جديدة حديثة العهد .

لأنه لم يكن هناك فوارق بين العلوم التى تقوم على المشاهدة والتجربة والعلوم التى تستند إلى النظر العقلى والتفكير المجرد.

ويكاد الباحث لا يخطىء إذا قرر : أن ذات اللفظين (علم) و(فلسفة) قد توحدت حتى مطلع العصر الحديث حيث بدأ انفصال العلم عن الفلسفة على يد رواد العلم التجريبى.

ففى فرنسا استخدم لفظ (العلم) بمعناه (التجريبى) الراهن وظهر ذلك فى (أكاديمية العلوم الفرنسية) التى نشأت سنة ١٦٦٦ م.

ورغم سبق الجمعية الملكية فى لندن جمعية العلوم الفرنسية إذ نشأت سنة ١٦٦٢ م لكنها لم تستخدم اللفظ فى معناه الراهن الذى يجعل العلم يخالف الفلسفة موضوعا أو منهجا.

ويشير بعض مؤرخى الفلسفة إلى أن انفصال العلم عن الفلسفة كان فى نهاية القرن الثامن عشر على يد (هولباخ) فى كتابه (نظام الطبيعة) الذى صدر سنة ١٧٧٠م.

وكذلك رأينا مثل هذا الانفصال فى كتاب ظهر (لكانط) سنة ١٧٨١ م ، وتابع (كانت) غيره من الفلاسفة .

ولكن مايزال (الإنجليز) كما يقول الدكتور توفيق الطويل يجرون على التقليد القديم فيستخدمون فى بعض المناسبات لفظ الفلسفة فى موضوع العلم الطبيعى.

ومن ذلك أن فى جامعة (كمبردج) مركزا للبحث العلمى التجريبى.

وفى إنجلترا جمعية (العلوم الطبيعية) يرأسها أستاذ فى (علم الحيوان) إسمها إلى اليوم (الجمعية الفلسفية).

ولكن العلماء منذ نزعوا إلى (فصل) العلم عن الفلسفة فى القرن السابع عشر، بدأت تظهر بين الفلاسفة جفوة سببها الظن بأن القائم على العلم التجريبى لا يخطىء، وتلك نظرة ما ينبغى أن تكون.. فقد استخف العلماء الطبيعيون بكل بحث لا يلجأ إلى المنهج التجريبى، وكذلك استخف الفلاسفة بكل تجربة محدودة تقوم على (الآلة) وليس على العقل.

وعندما يستخف العلماء بجهود بعضهم البعض فإن الحركة العلمية يصيبها الانفصام ويعتريها الخطأ والفشل.

ولعل سر هذه الجفوة هى غلبة الروح المادية على المشتغلين بالعلم، وضعف اعتبار الفلاسفة للواقع إذ ظلوا محلقين فى أجواء الأبراج العالية (العاجية).

ولكن المؤرخين لاحظوا فى القرن العشرين تحولا من المادية المسرفة إلى الروحية المتطرفة.

وهذا التحول قارب بين العلماء والفلاسفة . كما قارب بين رجال الدين فى أوربا والعلماء الطبيعيين والفلاسفة .

لأن العلماء أخذوا يتصورون المادة تصورا جديدا وأدى ظهور المبدأ الذى سموه (بالإمكان الصرف) إلى اصطباغ نظرة العلماء للمادة بصبغة (دينية) ولم تعد الحدود قاسية بين (المادة والروح) أو بين (المادة والعقل).

وإذا كانت الدقة من أخص ما يميز التفكير العلمى فقد أدى هذا كله إلى ظهور وفاق غير معهود بين العلماء وبين رجال العلم ورجال الدين .

تعرف فلسفة العلوم بأنها حلقة اتصال بين الفلسفة والعلم وهى ذلك الفرع الجديد من فروع الفلسفة الذى ينصب على العلم ، لغته ومفهومه وقضاياه بغاية التحليل .وتمحيصه .

تعريف فلسفة العلم :

إن فلسفة العلم من فروع الفلسفة ووظيفته وغايته حددت بأن: هذا العلم هو حلقة الاتصال بين الفلسفة وبين العلم .

وطالما نحن نعنى هنا (العلم التجريبى).

وطالما أن التمايز الدقيق بين الفلسفة والعلم من حيث الموضوع والمنهج يمثل الشرط الأساسى لقيام علاقة حقيقية بينهما، أى: لقيام فلسفة العلم.

وطالما أن هذا التميز لم يتبلور فى شكله النهائى إلا منذ قرابة قرنين من الزمان .

لذلك كانت فلسفة العلم هى من أحدث الفروع الفلسفيه بوجه عام .

ومن هنا نقول :

ماذا نعنى بفلسفة العلم..؟ وهل لفلسفة العلم تعريف موضوعى واحد..؟.. أم أن لها من التعريفات بقدر ما هنالك من مذاهب

وتيارات فلسفية متباينة..؟..[1]

بين الفلسفة والعلم (موضوع) تعرض لـه الفلاسـفة القدمـاء فنحن نعرف موقف أرسطو الذى يطابق فيه بـين الفلسـفة والعلـم إذ الفلسفة عنده هى العلـم الـذى يبحـث عـن العلـل والمبـادىء الأولى للأشياء والعلم عنده نظرى وعملى .

وقد أوضحنا كيف أن الفلسفة تشـمل العلـوم المعروفـة فـى العصور القديمة والوسطى .

وأن دراسة هذه العلوم بدأت تنفصل تدريجيا عن الفلسـفة ممـا حدا بكثير من المفكرين إلى اعتبار الفلسفة دراسة لا طائل تحتـها بعـد هذا الانفصال العلمى.

وهذه الفكرة ترجع إلى فهم خاطىء لما يمكن أن تحققه الفلسـفة من خير رغم اقتطاع العلوم لمعظم موضوعات بحثها حقيقة .

وكما يقول الدكتور أبو ريان : إن العلم الطبيعى يفيـد الملايـين من الناس بواسطة ما يقدمه من مخترعات حديثة رغم جهل هذه الملايين بأصول هذا العلم بينما نجد الفلسفة عاجزة عن أن تقدم للناس منفعة مماثلة وظاهرة ملموسة مما يجعل الفلسفة عقيمة فـى نظر مـن يسـمون أنفسهم بـالعمليين الذيـن يبحثـون وراء مطـالب الجسـد وحـده دون الروح).

---

(١) راجع ، ص ١٢٧ ، من كتاب (فلسفة العلوم) للدكتور بدوى عبـد الفتـاح محمد ، نشر دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع .

وهذه إشكالية ، يجيب عنها الدكتور أبو ريان :-

(ولكن الواقع أن تأثير الفلسفة إنما يتم فى الغالب بطريقه غير مباشرة وذلك عن طريق تأثير شخصيات الفلاسفة أنفسهم باعتبارهم مثلا وقادة .

وفى دفاعهم عن الحرية الفكرية ومبادىء الأخلاق وتمسكهم بالنزعة الإنسانية.

كما أن دراسة الفلسفة تقوى فى نفوسنا النزعة النقدية والميل إلى الغيرية والعدالة والتأمل.

كما أننا نجد الفلسفة تصبغ الوحدة والنظام على مجموعة العلوم كما تقيم أحكامنا على أسس نقدية قوية لذلك لأن الخاصية الجوهرية التى تتميز بها الفلسفة عن العلم هى خاصية النقد)([1]).

ولذلك نجد أن الفلسفة تختبر المبادىء التى يستخدمها العلم والتى نستخدمها فى حياتنا اليومية، وتبحث عما إذا كانت هذه المبادىء قد سلمت من التناقض أم وقعت فيه .

ولكن هذه الوظيفة النقدية للفلسفة مهما كانت قيمتها إلا أنها عاجزة فى قدرتها أن توصلنا إلى معرفة يقينية فى الكون دون أن تستند إلى هذه المبادىء التى تختبرها.

وقد تبين لنا هذا من المحاولات التى اصطنعها كل من (إسبينوز) و(هيجل) فى الفلاسفة المحدثين.

---

(١) راجع ص ٧٤ من كتاب (الفلسفة ومباحثها)، للدكتور محمد على أبو ريان

ونجب أن نشير إلى أننا عندما نتكلم عن الفلسفة كنقد للمعرفة يجب أن نوضح أن هذا النقد لا يجب أن يقوم على (شك مطلق) يمتنع معه العلم.

وإنما يستند إلى (شك منهجى)، كالذى رأيناه قديما عند (حجة الإسلام الغزالى)، ورأيناه حديثا عند (ديكارت).

وهو (شك) يوصلنا إلى اليقين . فالفلسفة تتصدى لاختبار صحة المبادىء التى يستخدمها العلم إلا أنها تعجز عن إمدادنا بتفسير حقيقى للواقع الطبيعى. لماذا...؟...

لأن وظيفة العلم التجريبى وميدان بحثه وحقيقة المعرفة العلمية وشروطها هى التى يقوم عليها هذا الإمداد العلمى.

وعليه ينبغى أن نتبين ما تمتاز به هذه الطريقة العلمية وتميز الأسلوب العلمى عن غيره من أساليب المعرفة حتى تتضح حدود المعرفة العلمية بعد أن بينا حدود المعرفة الفلسفية .

وإذا كانت فلسفة العلم منهج جديد وفلسفة جديدة فإننا نعتقد أنها منهج حاول العلماء أن يبرزوه تحت عنوان (فلسفة العلوم). وهو نوع متأخر فى التطور عن (فلسفة العلم) لأنه يعنى بكل فلسفة على حدة ثم تضامت هذه الفلسفات والعلوم فى إطار واحد .

فلسفة العلوم:

إن فلسفة العلوم ليست سوى شكل من أشكال المنطق قوامه منهج تحليلى نقدى ينصب على العلم منذ نشأته ثم على مناهج البحث العلمى ونقده للمعرفة العلمية التى تفضى بنا إلى نظرية مفسرة للمعرفة.

وهذه الدراسة تتطلب أن يجمع (الباحث) فيها بين عقلية المؤرخ والعالم الطبيعى والفيلسوف . لأن المؤرخ هنا لا يحرز نتائج علمية متقدمة بقدر ما هو قادر فى محاولاته على تدريب عقله على تطبيق المناهج العلمية أو إعداد عقله إعدادا منهجيا من خلال علاقته التاريخية بالواقع .

ومن هنا : فإن العقل يدرس فى هذه العمليات العقلية التى يستشفها من تعامله مع الواقع حتى يستطيع أن يبين قوانينه وكيف تسير..؟..

أما العالم الطبيعى فإنه لا يهتم بالبحث عن هذه القوانين بل يهتم بالنتائج فحسب فى كل مسألة يعكف على دراستها .

أما الفيلسوف فإنه يرقب عن كثب صور الصراع بين العقل والوقائع التى يدرسها ويستخلص محاولات العلماء عبر التاريخ دروسا تفيدنا فى تعديل مواقفنا المنهجية.

فتاريخ العلم عند الفيلسوف هو عبارة عن تصوير العلم فى نشأته وتطوره واستخلاص جملة أفكار عامة يدرسها العلم كالطاقة والمادة والحركة والزمان والجاذبية .

ولكن هل تاريخ العلوم أو تاريخ فلسفة العلوم أو فلسفة العلوم هى (فلسفة العلم) ..؟

الجواب : لا نستطيع أن نقول هى هى ؛ وإن كانت فلسفة العلوم هى بدايات فلسفة العلم .[1] .

---

(١) راجع فى ذلك كتاب (الفلسفة ومباحثها) ، ص ٧٥ للدكتور محمد على أبو ريان.

الفــرق

بين

فلسفة العلم والفلسفة العلمية

اذا تساءلنا عن الفرق بين العلم والفلسفة العلمية..؟..

فنجد أن الفيلسوفة (مارى برودك) تقول فى كتابها (قــراءات فى فلسفة العلم):

(إذا كانت فلسفة العلم هى حديث عن العلم فمــن الخطأ أن نعتقد أن كل من يتحدثوا عن فلسفة العلم يعنون بها نفس الشيء).

ويعلق أحد الباحثين على هذه العبارة فيقول:

(هذه العبارة الموحية توجز لنـا بدقـة لم كـان مـن الصعـب أن يكون هناك تعريف واحد موضوعى لفلسفة العلم وتوضح لنا أيضا لم تعددت التعريفات التى تقدم لفلسفة العلم بل والأهم من ذلك كلــه أنها توضح لنا الفرق بين فلسفة العلم والفلسفة العلمية.

إن الفرق يتوقف علــى طبيعــة العلاقــة التــى تربـط الفلسـفة بالعلم والهدف منها .

فإذا كان الهدف هو (توظيف)نتائج العلم ونظرياتـه فــى بنـاء مذاهب فلسفة جديدة أو الدفاع عن مواقــف محـددة أو طـرح فـروض جديدة على الإنسان وعلاقته بالكون فنحن أمام (فلسفة العلم).

وتكون فلسفة العلم عندئذ بهذا المعنى جزء من فلسفة الفيلسوف وتختلف بحسب المذهب الذى يدين به والاتجاه الذى ينتمى إليه ، وهنا نقبل بارتياح التعريفات المتعددة لفلسفة العلم.

فديكارت مثلا حاول أن يستفيد مما تتصف به القضايا الرياضية من ضرورة ويقين فى تأكيد اتجاه الحدث وقيم المعرفة) (1) .

أما بالنسبة للفلسفة العلمية وهى الدعوى التى ابتكرها ودافع عنها البعض من الفلاسفة المعاصرين أمثال (بيرتداند رسل) وغيره من التجريبيين المناطقة فهى تحاول أن تعطى للفلسفة ما للعلم من خصائص، وهذا نوع من المزاوجة، بمعنى: أن تنتهج الفلسفة المنهج العلمى . وليس المقصود بالطبع أن يتحول الفيلسوف إلى عالم فكل منهما له طريقته الخاصة فى بناء نظرياته ، وإنما المقصود أن يستفيد الفيلسوف من طرح المنهج العلمى وهو (التحليل المنطقى) .

وعلى هذا الاتجاه تحولت الفلسفة إلى دراسة تحليلية وليست تأليفية دورها الكشف عن حقائق جديدة وبناء المعرفة عن الطبيعة . وما يتصل بالعلم .

أما الفلسفة عند هؤلاء المناطقة فوظيفتها تحليل لغة العلم ومفاهيمه . ولكن دون تدخل فى مضمونه .

(1) راجع ، ص ٢٣ ومابعدها من كتاب (فى فلسفة الرياضيات) للدكتور محمد مهران نشر دار الثقافة.

ولعل ذلك هو الذى جعل التعريفات التى قدمت لفلسفة العلم متعددة .

وهذا التعريف الذى تتبناه (التجريبية المنطقية)[1] ثم التعريف عن رؤيا واسعة جدا للفلسفة . ثم هناك تعريف ثالث يجمع بين الأمرين وسنتعرض له .

تعريف بالوضعية

الوضعية المنطقية أو التجريبية العلمية أو التجريبية المنطقية وتكونت من فريقين :

١) الفلاسفة والمناطقة ،

٢) وبعض علماء الرياضة والفيزياء من ذوى الميول الفلسفية .

ولهم منزلقات خاطئة ، ويكفى ان نعلم : أنهم أعلنوا عداءهم السافر للميتافيزيقيا أى (ما وراء الطبيعة) بما فيه الجانب الإلهى وغيره من الجنة والنار والدار الآخرة . واعتبروها السبب فى تجميد الفكر الفلسفى والإنسانى ورفضوا كل تفكير غيبى لا يمكن التحقق منه بالتجربة كالملائكة والجن .

---

(١) التجريبية المنطقية هى إحدى الفلسفات المعاصرة المعبرة عن الروح العلمية الجديدة فى الفلسفة ، ونحن ننقضها بداية فنقول إنها منهج خاطىء مرفوض يقود إلى الإلحاد لكن له وجود فى مسار التجربة العلمية ولها عدة أسماء وقد إشتهرت بإسم الوضعية المنطقية ولكن لها إسم قديم مثل دائرة فيينا ثم الوضعية .

ويكفى أن نعلم أن وظيفتها تتناول بالتحليل المنطقى القيام بقضايا العلم وليس من اختصاصها بناء نظريات عن الكون والإنسان» فحولت الإنسان إلى كتلة حجر أو شجر .

والقضية الحقيقية مهما يكن مجالها عند أصحاب (الوضعية المنطقية) إما أن تكون (تحليلية) كما فى العلوم الصورية . وعندئذ يكفيهم عدم تناقضها أو تكون تأليفية كما فى (العلوم التجريبية) وعندئذ يكفى فيها التجربة.

أما عدا هذين المنجهين فالعلوم الصورية أو العلوم التجريبية فهى عندهم قضايا فارغة غير مقبولة.

والذى يعنينا هنا أن هؤلاء التجريبيين أصحاب (الوضعية المنطقية) لهم تعريف فى فلسفة العلم .

تعريفات لفلسفة العلم :

لفلسفة العلم (تعريفات) نحاول رصدها فيما يأتى :

التعريف الأول لفلسفة العلم : وهو للمنطقية الوضعية وبعض فلاسفة التحليل للمعاصرين وهو يقوم على نقطتين :

أ — التوحيد بين الفلسفة والمنطق .

ب — قصر وظيفة الفلسفة على التحليل فحسب ، خاصة تحليل لغة العلم .

وإذا أردنا أن نقف على تعريف الوضعية المنطقية فى فلسفة العلم نجد أنها : (جملة التحليلات المنطقية للغة التى يصوغ بها العلماء نتائجهم العلمية) [1] .

وقد انتقد هذا التعريف لأنه يجعل الفلسفة والمنطق شيئا واحدا ولا يتعرض إلا لتحليل اللغة فقط دون الدخول فى موضوع أو أسس أو مبادىء أو قضايا.

التعريف الثانى :

هناك تعريف آخر لفلسفة العلم فإنه يوسع مجال فلسفة العلم بحيث يشمل الجوانب السيكولوجية والاجتماعية ثم الجانب الأخلاقى وأخيرا الجانب الكسمولوجى[2] والميتافيزيقى للعلم، وتلك هى الإشكالية التى جعلت التعريف الثانى ينقسم إلى ثلاثة اتجاهات:

أ — اتجاه يقول : إن فلسفة العلم هى الدراسة السيكولوجية والاجتماعية للعلم باعتبار أن العلم نشاط إنسانى يمثل ظاهرة اجتماعية .

(١) راجع فى ذلك ، ص ١٣١ ، من كتاب (فلسفة العلوم) للدكتور بدوى عبد الفتاح .

(٢) الكسمولوجية أحد المباحث الفلسفية الرئيسية وتهتم الكسمولوجيا بدراسة جملة القوانين التى تفسر الكون من حيث طبيعته وأصله وكيفية تكونه ومصيره .

ب – اتجاه يقول أن : فلسفة العلم هـى المختصـة بـالتقويم الأخلاقـى للدور الذى يقوم بـه العـالم ومـدى مسئوليته عـن استخدام السياسى للنظريات العلمية (١) .

ج – اتجـاه يقـوم علـى ان فلسـفة العلـم تتعلـق بالترجمـة (الكسمولوجية) لنظرية العلم إلى تفسـيرات ميتافيزيقيـة عـن الكـون مثـل تفسير بعـض العلمـاء لنشـأة الكـون ومصـيره واحتمال وجود كائنـات ذكيـة وربمـا متقدمـة عنـا . كمـا يقـول أصحاب (الخيال العلمى) .

من العلماء الذين يـهتمون بذلـك مثـل (مـاكس بلانـت) و (إينشتين) وغيرهما من الفيزياء .

وواضح أن نقد هذا التعريف يعبر عن اتجاه واسع لا يمثل رؤية فلسفية دقيقة أو محددة القسمات وإنما نشأ كما يقول أحد البـاحثين فـى الواقع بمنطق أن (لكل فعل رد فعل):

وإذا كان التجريبيون المناطقة بالغوا فى تصنيف فلسـفة العلـم حتى جعلوها مجرد منطق للعلـم، واذا كـان قـد توسـع أصحـاب هـذا التعريف الثانى إلى حد فتح الباب على مصراعيه بحيث تكـون فلسـفة العلم شاملة للبحث فى أى شيء وكل شيء يتعلق بالعلم .

---

(١) مثل : (من هو المسئول عن مأساة هيروشيما ونجازاكى فى أغسطس سـنة ١٩٤٥م) ، ومن هو المسئول عما حصل فى أفغانستان ومن هو مسئول عمـا حدث فى البوسنه والهرسك وماشابه ذلك . فقد استعمل التقـدم العلمـى فـى سلاح للتدمير والقتل .

وربما كان السبب أيضا في ذلك أن أكثر المتحمسين لهذا التعريف لم يكونوا من أهل الاختصاص بالمعنى الدقيق أى أنهم ليسوا دارسين للفلسفة بل دخلوها من باب الهواية وكان أملهم أن يجعلوا من فلسفة العلم نوعا من المشاريع العلمية يرجون تحقيقها)[1] .

التعريف الثالث لفلسفة العلم:

هذا التعريف لفلسفة العلم لا ينطلق من اتساعها ولا يسرف في شيء منها وإنما يتناول بالتحليل النقدى لغة العلم ومفاهيمه من الناحيتين الإبستولوجية أى (المعرفة) والإنطولوجية أى (الوجود) لمعرفة الأساس الذى تقوم عليه.

وهذا التعريف الذى يقترحه علينا (بررودى) فيقول: (إن فلسفة العلم هى التحليل النقدى للمفاهيم الأساسية التى تقوم عليها العلوم الطبيعية وكذلك مناهجها من النواحى المنطقية والإبستمولوجية والإنطولوجية.

كما نجد تعريفا نسب إلى (رونز) يقول : (إن فلسفة العلم تقوم بدراسة منهجية لطبيعة العلم من حيث مناهجه ومفاهيمه وموضوعه وفروضه فى النسق العام للمذاهب العقلية) [2] .

---

(١) راجع ، ص ١٣٧ ، من كتاب (فلسفة العلم) للدكتور بدوى عبد الفتاح .

(٢) راجع، ص ١٤١، من كتاب فلسفة العلوم للدكتور بدوى عبد الفتاح .

نقد هذا التعريف :

هذا التعريف هو الأقرب إلى التعبير عن حقيقة ووظيفة فلسفة العلم إذ أنه جمع بين الجانب النقدى المنطقى وبين الإبستمولوجى والأنطولوجى للمفاهيم والنظريات العلمية.

وإن الأخذ بهذا التعريف يعبر عن قناعة الباحثين فى فلسفة العلم سواء كانوا من الفلاسفة أو العلماء الذين يرون أن العلاقة يجب أن تظل بين الفلسفة والعلم.

وقد لوحظ فى ميدان البحث العلمى أن فريقا من العلماء المتفلسفين يرون الأخذ بهذا الاتجاه المتوازن فى فلسفة العلم مثل (إينشتاين) و (روى دى بيرولى) ويؤكدان على الوظيفة الإبستمولوجية لفلسفة العلم.

فيقول (إينشتاين) : (استطيع أن أقول وأنا على يقين أن الطلبة الذين قمت بالتدريس لهم كانوا يهتمون اهتماما عميقا بنظرية المعرفة).

ثم يعترف (أينشتاين) بأنه لولا الدور النقدى الذى مارسته فلسفة (أرنست ماخ) و (بولكارية) لفيزياء (نيوتن) لتعذرت عليه نظريته فى (النسبية) .

ويقول (أينشتاين): (لولا كتاب ماخ فى علم الميكانيكا وما يتصف به هذا العالم العظيم من روح نقدية عن أساس الميتافيزيقيا لفيزياء (نيوتن) ما كان لى أن أتوصل إلى نظريتى فى (النسبية).

وأُحبّ أن أنبه إلى أن ما كشف عنه فى فيزياء (نيوتن) أن (نيوتن) أقام نظريته الفيزيقية على الأثير .

ثم ثبت أن (الأثير) نوع من "الوهم" ، وهذه القضية هى التى جعلت العلم ينطلق بعد (نيوتن) انطلاقا أشد قوة .

ونجد من يقول من العلماء: إن الفلسفة تتيح الفرصة للعلماء بأن تنبههم إلى إعادة النظر فى مفاهيمهم العقلية وتنقيحها .

كما استطاعت أن تلفت النظر إلى خطأ (نيوتن)، ولذلك فإن الفلسفة هى التى كشفت أثناء دراسة التركيب الذرى للمادة عن قصور واضح فى مفاهيم الفيزياء الكلاسيكية.

لذلك نجد أن مراجعة الأسس الغامضة لمفاهيمنا الأولية مسألة حتمية .

وهذا هو دور (فلسفة العلم) وهو ظيفة هامة يتوقف عليها كثير من النشاط العلمى والنشاط الفلسفى .

أهميـــة
فلسفــة العلـــم

إن لفلسفة العلم وظيفة هامة وهى تطرح من خـلال المقصـود من دراسة فلسفة العلم .

يقول (نيلسن يور) مشيرا إلى أهمية هذه الوظيفة النقدية التى تعبر عن أهمية فلسفة العلم أو هـذا الاتجاه الجديـد للفلسـفة : (إن الدور الهام للفلسفة هى أن تتيح الفرصة للعلماء بأن تنبههم إلى إعادة النظر فى مفاهيمهم العقلية وضرورة تنقيحها وبخاصة بعد أن كشـفت دراسة التركيب الذرى للمادة فى قرننـا — يقصـد القـرن العشـرين — عن قصور فى مفاهيم الفيزياء الكلاسيكية لذلـك فمراجعـة الأسـس الغامضة لمفاهيمنا الأولية مسألة حتمية.

وظائف فلسفة العلم :

لكننا وجدنا بعض الباحثين المعاصرين قد اسـتطاع أن يلـج إلى البحوث المختلفة ويحدد لنا فى عنـاصر محـددة (خمـس) وظـائف تمثـل أهمية فلسفة العلم واعتبر منها ثلاث وظائف سلبية ووظيفتان إيجابية ، وهذه الخمس يأتى إلينا فى صورة مجموعـة واحـدة أو عنصـر واحـد أو كتلة واحدة توضح لنا أهمية فلسفة العلم .

أولا : الوظيفة الأولى لفلسفة العلم :

هى (النقد المنطقى للغة العلم) وهذه العبارة توضح أن النقد يلعب دورا مزدوجا إذ يقوى الفروض والنظريات العلمية المستقرة ويخرج منها بعض الشوائب التى لا تتصل بها فهو يقوم بدور المصفاة التى تحد من وقوع فروض جديدة فى خطأ الاستعانة بمفاهيم أو علاقات غير تجريبية .

يقول (مارل بيرسون) فى كتابه (أجرومية العلم) : (إن الكتاب الذى بين أيدينا موجه فى المقام الأول لنقد المفاهيم الأساسية للعلم المعاصر ثم يؤكد اعتراضه على اللغة البالغة التجريد التى يستخدمها العلماء فى صياغة نتائجهم العلمية وضرورة مراجعتها على الواقع).[١] .

ثانيا : الوظيفة الثانية فلسفة العلم :

فهى أيضا وظيفة نقدية تقف فى وجه التوظيف الميتافيزيقى غير المشروع لبعض النظريات العلمية ولكنه توظيف من نوع آخر أكثر خطورة لأن الخطأ هنا ليس فى فهم الإنسان العادى للنظريات بل إن الخطأ صادر ممن يحملون مسئولية العلم بداية أى العلماء أنفسهم ويضرب مثالا على ذلك هو الفيزياء الكلاسيكية عند (نيوتن) و [illegible] بنيت النظرية العملية فى الميكانيكا الكونية كليتها على [illegible]

(١) راجع ، ص ١٤٦ ، وما بعدها ، فى عرض موضوعات أو وظائف [illegible] فلسفة العلوم) من كتاب (فلسفة العلوم) للدكتور بدوى عبد الفتاح

ميتافيزيقى وهو (الأثي)ر هذا الأثير ، وهو إن لم يكن (نيوتن) هو أول من قال به يمثل المطلق أو القدرة الإلهية المطلقة المتصرفة فى شئون الكون والواضعة لقوانينه وإن كان العقل الرياضى وليست المعرفة الحسية النسبية المتغيرة هو المعبر عن هذا المطلق .

وقد صاغ (نيوتن) نظريته فى الميكانيكا بحدود رياضية خالصة مثل مفهوم (اللامتناهى) الرياضى وحساب (التفاضل والتكامل) ، ولما كانت التحويلات الرياضية بين النظم المتحركة تسير بسرعة منتظمة ولتكن حركة الأرض أو القمر مثلا تفترض الثبات المطلق. أى : تفرض وجود مرجع أو إطار يدل دلالة ثابتة ثبوتا قطعيا مطلقا يناسب التحول الرياضى.

وبالرغم من أن (نيوتن) كان على يقين تام بأن الكون بأسره لا ينطوى على شيء واحد يتصل بالكون المطلق فإنه كان مرغما على افتراض وجود هذا الثبات وإلا فقدت نظريته اتساقها مستعينا بعقيدته الإيمانية المسيحية.

فذهب إلى أن الأثير هو مادة حقيقية تملا فراغ الكون كله وتتصل بالثبات المطلق وأن ثباته لازم عن كونه موضع عرش الله أو مركز إحساساته وكان لا يفتيء يكررأن الهدف من العلم هو الكشف عن عظمة الله ومقاصده .

تعليــق :

نحن هنا لا ننتقد (نيوتن) فى حديثه عن الثبات لعرش الله. هذا أمر ثابت ونحن نؤيده كمسلمين .

ولكن المشكلة عند (نيوتــن) أنـه حـول الميتافيزيقيـا أو (المـلأ الأعلى) إلى (قانون علمى رياضى) مـن صنـع البشـر وطبـق مـا صنـع البشر على الملأ الأعلى .

وهذا خطؤه أما النتيجة التى توصل إليها فنحن نتفق علــى أن عرش الله والملأ الأعلى والسماوات والميتافيزيقيا كلها حقائق .

ثالثا : الوظيفة الثالثة لفلسفة العلم .

وهى التى تحدد أهمية فلسفة العلم وقال بها (وايت هيد) فقال : (هى وظيفة تحقيق التــوازن بـين التفســير العقلــى والخـبرة الحسـية ، فالعلم هو محصلة نشاط تبــادلى بـين العقـل والحـواس وتقـدم العلـم مرهــون بوعـى وإيمـان العلمـاء بواحديـة الحقيقـة ، أى أنـه لا توجـد إزدواجية بين صورة العالم كما يقدمها لنا التفسير العلمى وبـين صـورة العالم كما تقدمها لنا الحواس، فعالم الذرات والألكترونيـات والمجـرات هو نفسه عالم الأشجار والأنهار والأحجار وتحقيق هذا التوازن يتوقـف على عدم الفصل بــين الإنســان فــى عقلـه وحواسـه وبـين الظواهـر الطبيعية.

هذه فكرة فى (الفيزياء المعاصرة) ويجبُ على فلسفة العلم أن توظفها لتكون فى خدمة المعرفة العلمية وهى أن الإنسان لا يوجد خارج الكون بل هو جزء منه ومتفاعل معه .

وهذا يعنى: أنه لا يمكن دراسة الطبيعة بمعزل عمن يدركها أو بمعزل عن الوسط المحيط بها ، فجسم الباحث أى الإنسان يؤثر على حركة الألكترونيات عبر المجرات داخل الذرة والنقطة المكانية والزمانية التى يرسم منها (الباحث)، أى الإنسان، شرطا لفهمه وتقديره للزمان والمكان.

وهذا يعنى أن الطبيعة تمثل مركبا هائلا من الحوادث المتداخلة والمتفاعلة .

ومن المثير للدهشة : أن الفيزياء المعاصرة التى أكدت أن الإنسان جزء من المعادلة الشاملة للمعرفة والتى تجمعه بالطبيعة هى نفسها التى أخذت الإنسان إلى خطأ آخر يكاد يمحو هذه الحقيقة ويذهب بقيمتها عندما ألقت بنفسها فى أحضان (الرياضيات) حتى كادت (الرياضيات) أن تكون غاية مرجوة لذاتها وتحول علماء الفيزياء النظرية شيئا فشيئا إلى علماء رياضة لا تشغل التجربة إلا أقل القليل من اهتمامهم، وهنا كانت الجفاء بين العلم وبين الفلسفة . (1) .

---

(١) يراجع التفصيل فى ذلك ص ١٩٨ ومابعدها ، من كتاب(منطق المعرفة العلمية) لياسين خليل ، نشر الجامعة الليبية .

رابعا : الوظيفة الرابعة لفلسفة العلم :

من وظائف فلسفة العلم الايجابية فهى الوظيفة التى تتعلق بإمكانية الاستفادة من النقد المنطقى للمعرفة العلمية فى تطوير (إبستمولوجيا) جديدة ، أى : نظرية جديدة فى المعرفة تضع فى اعتبارها المبادىء الجديدة التى جاءت بها الفيزياء المعاصرة وفى نفس الوقت تكون بمثابة المدخل للعلم أى (العلم للفلسفة) دون أن تفقد تفردها الفلسفى .

وبذلك تكمل الفلسفة دورها التحليلى النقدى بدور آخر لا يقل أهمية هو الدور التأليفى .

ويتجلى هذا الهدف الطموح فى مشروعات عدد من الفلاسفة من ذوى الاهتمامات العملية مثل (وايت هيد) و (جاستون باشرال).

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إننا اليوم فى ظل التيارات المعاصرة والأفكار المتداخلة وتقدم العلم ومحاولة الفلسفة اللحاق به والامتزاج بقضاياه فيما يسمى (فلسفة العلم) نجد : أننا بحاجة إلى مؤازرة لهذا التمازج بنظرية جديدة فى المعرفة تستمد مبادئها من مبادىءعلمية ، مثل نظريات (النسبية) وغيرها .

وإذا حدثت هذه النظرية فإنها ستلعب هذا الدور الذى لعبه كتاب (مقال فى المنهج) لديكارت بالنسبة للمبادىء الرياضية فى الفلسفة الطبيعية وغيرها من الأمور الهامة التى أحدثت أثرا هائلا فى الفلسفة بفروعها وأنواعها .

خامسا : الوظيفة الخامسة لفلسفة العلم :

التى تعبر عن أهمية فلسفة العلم ، وهى تقع فى جانبها الإيجابى فهى :

(التوحيد النظرى بين العلوم المختلفة على نحو يتيح لنا رسم خريطة شاملة لها ، هذا الخريطة تمكننا عن الكشف عن مساحات منسية من المعرفة والتى تقع على الحدود بين مختلف التخصصات).

ويكفى أن ندرك أن من أسباب تقدم العلم الحديث هو التخصص فى معناه الدقيق.

ولعلنا ندرك أن هذا هو الفرق بين عمل العالم وبين عمل الفيلسوف ، فالعلماء اليوم لا يبحثون فى علم الطبيعة أو علم الكيمياء وإنما انقسم العلم الواحد إلى (عشرات) من الفروع الصغيرة، كل يمثل تخصصا قائما بذاته .

وهذا أشبه (الجزر) التى تغيش على الحركة العقلية والوعى الدقيق . وبقدر ما تعتبر هذه الجزر العلمية قوة دافعة للتقدم العلمى إلا أن لها أثارا جانبية فقد تحولت الجزر المنفصلة إلى مساحات مقطوعة الصلة بعضها ببعض فى محيط المعرفة العلمية وأصبح من المألوف عندما تسأل عالما عن موضوع ما خارج تخصصه أن يقول لك : لا أعرف عن ذلك شيئا ، حتى ولو كان الموضوع فى تخصصه العام .

إذا العزلة العلمية كانت السبب فى وجود سلبى لمثل هذا التخصص الدقيق الذى كان دافعه التعمق فى العلم ، فانطلق وهو

يتعمق فى البعد عن دائرة العلم الواسع ، وبالتالى ابتعد عن الكون الواسع الأشمل.

ولذلك حاول العلماء أن يجمعوا التخصصات الدقيقة فى وحدة شاملة لكل علم وأن يجعلوا التخصصات الدقيقة فى حزمة حيث يستفيد كل من الآخر وحيث يستطيع أن يكون قادرا على عملية مسح شامل للإمكانات ومقارنتها بكل جوانب التخصص العام.

وهذا التوحيد يمكن أن يتم بأحد طرق ثلاث :

أ – التوحيد عن طريق وحدة الموضوع .

ب- التوحيد عن طريق وحدة المنهج .

ج – التوحيد عن طريق وحدة المعطيات .

الخلاصة :

أنه ينبغى على العلماء من ناحية وعلى المتفلسفة من ناحية أخرى التعاون على تحقيق فهم علمى أفضل فلا ينبغى على الفلاسفة أن يحطوا من شأن العلم أو الفلسفة أو يقللوا من أهميتها ولا ينبغى على العلماء أن يعلنوا خصاما أو جفوة بين الفلاسفة والعلماء ومن هنا كانت الدعوة إلى تكوين فلسفة علمية تكون جديرة بكونها مدخلا للعلم والدعوة إلى تكوين علم يقوم على الفلسفة تفيد العلم .

وهذه الأمور التى يرى البعض أنها (مفرقة) هى (جامعة) فى نفس الوقت.

ولعلى أذكر بما قلت من : أن العلوم تربت فى أحضان الأم وهى الفلسفة وارتضعت لبناتها ولا يمكن أن ينسى الوليد بيئته وأمه .

فإن ما يرى الآن من تباعد بين الفلسفة والعلم فى مدارجها وفى تخصصاتها فإنه تباعد وهمى لأن الوليد لا ينسى أمه .

ونأمل أن نرى قريبا مذاهب مستقرة ونظريات فى المعرفة ، ونرى فلسفة العلم وعلم الفلسفة وقد استقاما مرة أخرى ليعود الغائب إلى أمه ويعيش العقل مع الواقع فى ألفة المنطق والتجربة .

ميادين
فلسفة العلم

رغم أن فلسفة العلم هى أحدث فروع الفلسفة فإنـها بعـد أن عرفت بنفسها أرادت أن تنطلق إلى موضوعات تتمـيز بـها وتقتنصـها فلجأت إلى موضوعين رئيسيين هما :

أ – موضوع النظريات العلمية (النظرية العلمية).

ب- موضوع مذاهب القانون العلمى .

فقد وجدنا أن فلسفة العلم دخلت على النظريات العلمية .

أ – معنى النظرية العلمية :

حاولت فلسفة العلم أن تـدرس فـى ميـدان النظريـة العلميـة معنى النظرية العلمية وتعريفها ، وتطورها وبنيتها المنطقية ، ووظائفها ، ووضعها المعرفى ، ثم حاولت أيضا أن تضع بعض الأسس أو المعـانى أو المفاهيم الفلسفية مثل نظريات الفيزياء المعاصرة وغير ذلك.

وقد استطاعت الفلسفة العامة فى إطار النظرية العلمية أن تجد نفسها فى تجريد ما بحيث نقول : إن ميدان النظريـة العلميـة رغـم أنـه أقدم من ظهور كلمة فلسفة عامة أو فلسفة علمية إلا أنـه اسـتطاع أن يتبنى هذه الفكرة .

ونحن نعلم أنـه إذا اشملـت عـدة نظريـات تحولـت إلى (قـانون علمى).

ب — معنى القانون العلمى :

عندما قامت الفلسفة العلمية بدراسة القانون العلمى نجدها تتحدث عن القانون العلمى الكامن ، لأن قوانين الطبيعة موجودة فى الكون كلها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وتحتاج فقط إلى العقول التى تبرز هذه القوانين.

فقانون الكهرباء مثلا أو قانون الحركة الميكانيكية أو الديناميكية كان موجودا قبل أن يتوصل اليه العلماء. وكان يمكن أن يظل قرونا طويلة من الزمان كامنا إلى أن جاء عقل وأكتشفه مبتكر. إن القوانين العلمية ليس لها مبدع ولكن لها مكتشف ومخرج .

ونحن نطلق عليه إذا القانون الكامن .

ثم إن الفلسفة العلمية تقول:إنها سبب إظهار هذا الكمون ثم تحدثت الفلسفة العامة فى ميدان (القانون العلمى) عن القانون (العلمى المفروض) والقانون (العلمى الوصفى) ، والقانون العلمى بمعنى (الاصطلاح) ثم تحدثت عن (مشكلات) القانون العلمى .

ثم تحدث عن مبدأ هام وهو من مشكلات القانون العلمى مبدأ (الحتمية) فى التفكير العلمى المعاصر وكيف أن العلم المعاصر لا يعرف معنى (الحتمية) .

وهذه مشكلة خطيرة إذ أن كل قانون يرد عليه كل آن وآخر ما يذهب بحتميته .

ثم مشكلة (الاستقراء) وكيف أن الاستقراء التام أمر شاق وعسير.

ومن هنا أكتفيء بالاستقراء الناقص. فالمشكلة هي النقصان هنا بعدم الحتمية والنقصان هناك بعدم الاستقراء التام، وتكمن مشكلة في أن القانون لا يسلم أبدا بهذا المعنى وقد حاولت فلسفة العلم أن تقدم معالم في هذا القانون في هذا الإطار العلمي.

وبعد لعلي في هذه العجالة قد استطعت أن أعرف بفلسفة العلم وبمعانيها وبأهميتها ووظيفتها ثم بميادينها.

وهذا التعريف كله إنما جاء في إطار تمهيد لمادة الفلسفة العامة.

مبحث

الوجـــود
الانطولوجيـــا

نجد من جعل ما بعد الطبيعة ومبحث الوجود شيئا واحـدا، لأن فلسفة القدماء تتميز بأنها فلسفة وجودية حيـث تنـاول البحـث فيـها المبدأ الذى صدر عنه الوجود والمصير الذى ينتهى إليه .

فأرسـطو يعـرف (الفلسـفة الأولى) أى مـابعد الطبيعـة بأنـها البحث فى الوجود بما هو وجود.

ومن المؤرخين من وحد بين مابعد الطبيعة ونظرية المعرفة.

ومن هنا جعل بعض المؤرخين مـابعد الطبيعـة شـاملا لمبحـث الوجود ونظرية المعرفة معا ويظهر أن (ولف) المتوفى سـنة ١٩٥٤م كـان أول من أطلق إسم (الأنطولوجيا) على مبحث الوجود وجعله فرعا من علم ما بعد الطبيعة التى تشمل بالإضافة إلى مبحث الوجـود البحـث فى (الكون) وفى (النفس) وفى (اللاهوت) .

وقد ظهرت أعم حركة فلسفية فى القرن التاسع عشر الميـلادى عن فكرة توحد بين الوجود والمعرفة . ويبدوا أن هذه الحركة الفلسـفية التى أعقبت (كانط) فى ألمانيا وتأثرت بفلسفة (هيجـل) المتوفـى سـنة ١٨٣٦م، وكانت نظرية المعرفـة فـى الفلسـفة الهيجيليـة تشـمل مـابعد الطبيعة.

ولكننا هنا سنتحدث عن مبحث (الوجود) فقط إذ أننـا أفردنـا عن (نظرية المعرفة) بحثا تحت عنوان (البعد الرابع فى نظرية المعرفة) .

مجال مابعد الطبيعة :

عـالج البـاحثون قبـل (أرسـطو) قضايـا الميتافيزيقيـا (مـاوراء الطبيعة) التى عرض لها فلاسفة (أيونيـا) القدامـى حينمـا حـاولوا أن يفسروا العالم بنظرية البحث عن حقيقة الموجودات .

وتناول (أفلاطون) البحث فى مجـالات ميتافيزيقيـة تحـت إسـم (الجدليات) أو (الجدل) محاولا أن يدرس طبيعة الموجـودات مـع العلـم الإنسانى .

أما (أرسطو) فى هذا المضمار قد اقترح لفظ (الفلسـفة الأولى) وقصد بها ما نسميه اليوم بما (بعد الطبيعة) لأنه أراد بها البحث عـن الوجود بما هو (وجود) بالاطلاق وسماها الفلسفة : (الأولى) تمـيزا عـن الفلسفة الثانية وهى (العلم الطبيعى) عنده كما سماها (الحكمة) لأنـها تبحث عن العلل المطلقة وكذلك وجدنا غيره من علماء اليونـان مثـل (أندرو نيكوس) الرودسى الرئيس الحادى عشر لمدرسـة المشـائين أنـه أول من أطلق إسم ما بعـد الطبيعـة علـى مـا سمـاه أرسـطو بالفلسـفة الأولى.

معنى الميتافيزيقيا :

وقد كان للميتافيزقيا معان شتى أريد بها ما فوق الطبيعى وإلى مثل هذا قصد بها أمثال "كلمنت" الاسكندرانى المتوفى سنة ٢١٥م وكذلك غيره من الناس وأعتبرت فلسفة "كانط" متضمنة لظواهر الإدراك الذى يكون قبليا وهو الذى يقابل الإدراك الذى يكون بعديا أى: يجىء بعد إجراء التجربة .

ولا يزال المعنى الاستطالى يلازم هذا الحد (مابعد الطبيعة) فهو البحث عن الوجود ولواحقه بما هو وجود— أما الوجود فيراد به الوجود بإعتباره معنى مجردا يطلق على كل موجود ولا يتصل إطلاقه على (ماهية) معينة، وهو وجود لا مادى ينشأ إما عن التجريد الذى يقوم به العقل باستخلاص الوجود الذهنى من الوجود المادى الموجودات أى الوجود اللامحسوس بالإطلاق وإما أن يكون وجودا روحيا بطبيعته غير مجسم فى الأعيان (المحسوسات) كالله والنفس البشرية.

وأما لواحق الوجود فيراد به : المعانى التى تلائم الوجود بما هو كذلك لا لكونه ماهية معينة كالجوهر والعرض والعلة والمعلول والموجود بالقوة أو الفعل .

وأما البحث فى الموجودات مفصلا للمعرفة وعللها، فهذا ميدان العلوم كالعلوم الجزئية .

هل يمكن قيام ما بعد الطبيعة:

وقد استطاع أرسطو لكى يقيم الفلسفة الأولى أن يدحض مذهب السفسطائية الذين توهموا الحقائق الجزئية مبادىء كلية.

فإن السفسطائية أقاموا حجر عثرة بمنهجهم أمام العقل وهدموا العلم ومنعوا العقل من التوصل إلى الفلسفة الأولى .

وقد وضح ذلك عند (هيرقليدس) المتوفى سنة ٤٧٥ قبل الميلاد . فقد زعم أن الأشياء فى تغير متصل وسيلان دائم وأنكر الدوام المطلق والنسبى والمؤقت .

ثم جاء بعده (بيروجوراس) وغيره من السفسطائية فاستنتجوا من نظرية (هيرقليدس) وغيره نتيجة لازمة عنها . وهى : أن الفرد مقياس الأشياء جميعا فقضوا بذلك على الحقائق الثابتة المطلقة) التى لا تتغير ولا تتبدل وأحلوا مكانها حقائق جزئية متعددة تختلف باختلاف الأفراد وظروفه .

ولعل هذا ما دعى بعض العلماء الباحثين أن يقولوا : إن (هيرقليدس) هو (الشاك) الذى قدم الشك الأول فى مفهوم الوجود.

وقد تصدى أرسطو لهذا الموقف لأنه كان يريد أن يهيىء الأذهان لمنهج أراده وهو : إقامة عالم ما بعد الطبيعة فى الجانب الفلسفى ، فألف (كتاب الطبيعة) تحدث فيه عن العلوم الطبيعية والكونية وكل العلوم الحسية .

ثم أفرد فصلا عن هذه القيم وسماه (ما بعد الطبيعة) وهو الذى أطلق عليه هذا الإسم .

بدأ أرسطو بالرد على من ذهب إلى أن الذين يمسكون عن الكلام أنهم أشبه بالجماد .

ومن ثم استطاع أن ينطلق إلى عرض فكرته وتتلخص فكرة إرسطوا فى إقامة عالم مابعد الطبيعة فى أنه دحض الحجج الذى لاذ بها واعتمد عليها الشكاك السفسطائيون مثل (بيروتاجوراس) وأتباعه .

يقول أرسطو :

إن السفسطة يمكن أن تتفق فى شىء واحد فيكون فى آن واحد حارا وبارادا خشنا وناعما حلوا ومرا وزعم أنه كانت فيه جميعا لأن الوجود يمتنع أن يخرج من لا وجود .

ويرد أرسطو فيقول : أن الضدين قد يجتمعان فى شىء واحد فى آن واحد ولكن بشرط أن لا يكون اجتماعهما فى جهة واحدة ثم عرض أرسطو لبقية مظنونات السفسطائية وهدمها منظومة منظومة، وبذلك انهدمت حجج السفسطائية ، واستطاع أن يقيم عالم مابعد الطبيعة .

وإن كان قد حاولت الفلسفة الوضعية فى العصور الحديثة التى رفضت علم ما بعد الطبيعة بطريقة منهجية تختلف عن السفسطائية ، وإن كانت شاركتها فى النتيجة أن تقر قضاياه أو تنكرها .

وهذا أمر مردود عليه فى مثل ما ورد عليه أرسطو لكـن الـذى يثرى الفكرى ويقوى الأقدمـين مثـل أرسـطو مـا وجدنـاه فـى العصـر الحديث من حيث وجود دراسات غنية فـى الجـانب الميتـافيزيقى الـذى أعقب (كانط) فى ألمانيا وكذلك ما وجدناه عنـد (فشـنا) المتوفـى سـنة ١٨١٤م و(شيلند) المتوفى سنة ١٨٥٤ م و (هيجل) المتوفى سنة ١٨٣١ .

يقول أحد الباحثين :

(ولا نجد بلدأ صادفت دراسات الميتافيزيقيا نفورا عنـد مفكريـه أكثر من إنجلترا وأمريكـا إذ فشـت النزعـة التجريبيـة والوضعيـة بـين فلاسفتها واستبد بتفكيرهـم حتى شلت النظر الميتافيزيقى فى كثير مـن مظاهره .

وفى أيامنا الحاضرة تسود (الوضعية المنطقية) انجلـترا . وتفشـو معها الفلسفة العملية بأمريكا . وهذا أمر وإن تمسك به العمليون من فلاسفة الأمريكان بالمعانى الميتافيزيقية متى أمكن العمل علـى تحقيقـها فعلا والإفادة منها عمليا وليس للبحث فيها نظريا ميتافيزيقيا.[1] .

---

(1) راجع ص ١٤٧ ، من كتاب (أسس الفلسفة) للدكتور توفيق الطويل .

مذاهب الوجــود

إن من علماء الطبيعة من هو معنى بالبحث فى الوجود ، مهتم بالكشف عن علله البعيدة ومبادئه الأولى ، ولذلك حرص هذا الجانب منذ نشأته على أن يفسر هذا الوجود .

ما معنى الوجود : ما هو أشكاله — ما هو خصائصه — مـا هـى قواعده الأولى — ماهى مبادئه الأولى ..؟..

حتى نفهم معنى الوجود نضع لأشكاله مجموعة حلول فى إطـار المذاهب الميتافيزيقية التى اختلفت باختلاف أهلها .

إن الفلاسـفة قـد اختلفـوا فـى فهمـهم للوجـود وتفسـيرهم لطبيعته، وبالتالى تعددت مفاهيمــهم وتعاونيـهم التـى وضعوهـا حـلا لإشكالاته .

أ — فمن قائل أن الوجود مادى فى طبيعته ولا شىء فى الوجود غير المادة ، والحياة والحركة ، تشهد بذلك أما وجــود الـروح أو العقـل فليست فى الواقع إلا وظائف من وظائف المادة أو صفة من صفاتــها ، بدليل أنه اذا انحلت المادة توقفت الحركة وانعلمت الحياة.

والقائلون بهذا يطلق عليهم إسم أصحاب (المذهب المادى).

ب — ونجد من يقول من الفلاسفة عن الوجود إنه روحـى فـى طبيعته وأن ليس فيه غير الروح أو العقل وأن المــادة فـى كـل صورهـا ليست إلا ظاهرة من ظواهر الروح .

والقائلون بهذا هم أصحاب (المذهب الروحى).

وأصحاب المذهب المادى والمذهب الروحى يفسرون الوجود برده لأصل واحد ، وهم من عرفوا أنهم (أصحاب المذهب الواحدى).

ج - ولكن نجد بين الفلاسفة من رد الوجود إلى مبدأين من أصليين هما أ- المادة ، ب- الروح .

وأولئك هم أصحاب المذهب (الثانوى) أو (الثنائى) أو المذهب (الأثنينى).

د- وهناك من أرجع الوجود على عدة أصول كأصحاب القول بأن الذرات مادية أو روحية وانها اصل هذا الوجود ، ويعتبرون من أصحاب(مذهب التعدد) أو الكثرة .

سنكتفى بإشارة خفيفة إلى مذهبى المادى والروح .

المذهب المادى :

يقوم مذهب المادة على فكرة : أن ما فى الكون مادة يقاس ويوزن ويلمس ويحس، وماعدا ذلك فلا يدخل فى نطاق البحث .

يقول (لانج) المتوفى سنة ١٨٧٥ م فى كتابه الذى يؤرخ للمذهب المادى (إن هذا المذهب قديم قدم الفلسفة ولكنه ليس أقدم منها) ورفض (لانج) ما أشيع بغير حق من أن المادية منهج العقل الساذج.

ونريد أن نتبه هنا أن النزعة المادية فى محاولاتها الأولى لم تبدأ من (لانج) وإنما وجدناها عند فلاسفة الأغريق من الطبيعيين الذين

حاولوا أن يفسروا الوجود برده إلى المائى أو الهوائى أو العناصر الأربعة (الأستقسلط) .

على أنه أتضح أن صور المذهب المادى قديما كانت موجودة عند ديمرقرطس ت فى سنة ٣٧٠ قبل الميلاد ، وأستاذه (لويوس بيوس) منشىء مذهب الجواهر الفردة.

فالموجودات جميعا تتألف عنده من (جواهر فردة) يفصل بينها خلاء وهى جزئيات لا متناهية العدد ولا تقبل القسمة بالفعل وإن قبلتها بالذهن وتتميز بصفتين أساسيتين هما : الشكل والمقدار، فشكلها مستدير أو مجوف أو أحدهما ومقدارها يتفاوت ولكنه لا يقبل التجزئة وهى تتحرك أى: هذه الجواهر ، فينشأ عن حركتها اجتماع بعضها ببعض على صور شتى ومن هنا ينشأ كون الأشياء أى : تكونها فإذا انفصلت الجواهر كانت فساد الأشياء أى الموجودات ، وحتى النفس الإنسانية تتألف من هذه الجواهر المادية وإن كانت جواهرها أسرع حركة وأدق شكلا .

هذا ما قرره المذهب القديم من اعتبارالأشياء مجرد امتداد للحركة [1]

---

(١) يراجع فى ذلك ص ١٤٩ ، من كتاب (أسس الفلسفة) للدكتور توفيق الطويل.

موقف فلاسفة اليونان

إن موقف سقراط وأفلاطون وأرسطو من المذهب المادى يظهر فى مقاومة سقراط وأفلاطون وأرسطو لهذاالاتجاه المادى فى تفسير الوجود ، فقد رفضوه جميعا .

ونجد أن أبيقور حاول أن يحيى هذا الإتجاه .

موقف العصر الحديث :

ولكن فى العصر الحديث نجد أنه حاول أن يشكل صورة المذهب المادى مرة جديدة (إسحق نيوتن) حيث كان التفسير المادى للموجودات قد اطلع مع التطور التفكير العلمى.

والعقل عنده صورة من صور المادة التى تتميز بالقوة والتنوع والحركة والحية والتفكير ولا يوجد ما يسمى بالروح أو بالعقل مستقلا عن المادة .

وهذه الظواهر الوجدانية ماهى إلا وظائف لأعضاء الإنسان فالتفكير وظيفة المخ ، كما أن الذوق وظيفة (اللسان) .

الاستدلال :

ويعتمد دعاة المادية على أدلة منهجية وأدلة آلية وأدلة كونية.

قد عرض الباحثون هذه الاستدلالات على النحو الآتى :

١ — إن افتراض وجود جوهر آدمى عقلى مستقل عن الجسم متميز عنه بافتراض ميتافيزيقى سابق على العلم ومتناقضة معه ،

يقولـون : إن التجربـة لا تكشـف إلا عـن وجـود الجسـم ووظائفـه وأعضائه.

ويقولون : إن الأرض كانت فى يـوم (مـا) مجـرد سـديم غـازى متوهج ، فكـانت الحيـاة العضويـة علـى ذلـك مسـتحيلة فلمـا بـردت الأرض تهيأت لظروف الحياة العضوية ، فوجـد النبـات والحيـوان ثـم الإنسان ويعولون على هـذا الحـدث التـاريخى علـى أن نشـاط الـروح والعقل وجد بوجود الحياة العضوية التى نشأت متأخرة ويرفضون وجود روح أو عقل مستقلة عن الكائن الحى لأن نشأته متصلة بهذا الكـائن ونهايته مرتبطة بنهايته .

هكذا كان للماديين موقف إزاء الموجودات وتفسير طبيعتها .

الإلحاد والمذهب المادى :

أدى نمط تفكير الماديين فى هـذه الظواهـر أن نذكـر شـيئا مـن موقفهم من تفسير (الجانب الإلهى) أنهم ينكـرون وجـود الله باعتبـاره مجرد فكرة فى أذهان الناس وما دام كل شىء عندهم يرتد إلى المادة ، فالله بأى معنى من معانيه الميتافيزيقية لا يمكن أن يكـون عندهـم إلا (مـادة) ويقولون : إننا إذا أختبرنا أظهر الصفات الإلهية التى تنسب فى العادة إلى الله سبحانه وتعالى وجدنا أنها الصفات التى تضاف عادة إلى المادة .

والله يوصف بأنه أزلى أبدى ، وهذا وصف المادة ، إن المـادة عـن الماديين لا يمكن أن تخلق ولا أن تفنى.

وهذا الكلام ثبت فساده علميا فى هذا العصر الحديث .

والله عندهم يوصف بأنه موجود فى كل مكان وحال فى الأشياء والمادة ، كذلك موجود فى كل مكان وفى كل جزء من أجزائها إلى آخر هذا الكلام الإلحادى.

وهو كلام فاسد ضد العقيدة والجانب الإلهى ، لأن هناك وجود مطلق ووجود محدود . فوجود المادة إنما هو مرتبط بفنائها ووجود الأجزاء مرتبط بكله وكل يجرى عليه الموت والفناء طالما هو مخلوق .

أما الله فهو أزلى أبدى فى كل زمان ومكان ولا يصل إليه فناء ولا تجسد ، ولا يحل فى الأشياء ولا يتركب منها إذ هو :

(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

وعموما فقد انتشر المذهب المادى العالم الميتافيزيقى بين العلماء والطبيعيين الذين وجدوا فى العلوم الطبيعية الملاذ الذى يفسرون به الوجود.

ولما كانت المادية تتخذ من العلوم أساسا لها اعتبرت عند الكثيرين المفكرين أكثر المذاهب الميتافيزيقية إمتزاجا بالعلم وتأثرا بالجزئيات المادية .

ثانيا : المذهب الروحى :

وجدنا من يفسر الوجود بالمادة وحدها ومن يفسر المذهب الروحى بالروح والعقل أو ما يشبه الروح والعقل .

إذ يذهب المذهب الروحى إلى أن طبيعة الأشياء الكامنة وراء الظواهر المحسوسة روحية فى أصلها .

من هنا : فإن المذهب الروحى يعترف بالعلاقة بين النفس والجسم وبين التفكير والمخ ، ولكنه يرفض اعتبار العلاقة بينهما علية ، فليس الجسم علة النفس ولا التفكير معلول عن المخ ، لأن المخ مادة والمادة لا تفكر ولا تشعر فالروح عندهم أو العقل مظهر لظواهر المادية والبدنية .

فإذا كنا لا تستطيع أن ندرك طبيعة الأمور والأشياء بالحواس وإنما نعرفها بالتفكير المجرد فقط استنتجنا من هذا أن ......

مبحث القيم

قد تقوم الأشياء وتقدر باعتبارها وسائل لتحقيق غايات كالمال مثلاً باعتباره وسيلة رفاهية الإنسان وسعادته وهذا النوع من القيم يسمى قيما نسبية .

وقد تقوم باعتبارها غايات فى ذاتها أى ليست وسيلة لغيرها ، وهذا النوع من القيم هى القيم المطلقة أو المثل العليا وهو الذى يدخل فى نطاق البحث الفلسفى ..

والمتفق عليه عند جمهور الفلاسفة والباحثين أن القيم المطلقة ترجع إلى ثلاث : هى الحق ، والخير ، والجمال ، والبحث فيها من حيث كونها صفات عينية للأشياء بمعنى أن بها وجوداً مستقلاً عن العقل الذى يدركها ، أو هى معانى مجردة فى العقل تقوم بها الأشياء إلى غير ذلك من المسائل التى تتناولها فلسفة القيم وهى تشمل علوما ثلاثة معيارية تبحث فيما ينبغى أن يكون لا فيما هو كائن بالفعل شأن العلوم الوضعية .

وهذه العلوم الثلاثة هى : علم المنطق ، وعلم الأخلاق ، وعلم الجمال ..

فعلم المنطق : مبحث فى قيمة الحق إذ أنه يضع القواعد التى تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر أى أنه يبحث فيما ينبغى أن يكون عليه التفكير السليم .

وعلم الأخلاق : يبحث فى قيمة الخير ، لأنه علم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى بها الإنسان ، وبالرذائل وكيفية توقيها ليتخلى عنها ، فهو يضع المثل العليا التى ينبغى أن يكون عليها سلوك الإنسان.

وعلـــم الجمال : يضع المستويات التي يقاس بها الشيء الجميل أي أنه يبحث فيما ينبغي أن يكون عليه الشيء الجميل .

هذه المباحث الثلاثة ، الوجود ، المعرفة ، والقيم هي التي تشكل موضوع الفلسفة ومجالها لدى جمهرة الفلاسفة .

ولـــم يشذ عن هذا الاتجاه السائد إلا طوائف الماديين وخاصة في المذاهـــب الفلسفية المعاصرة حيث إستبعدوا الميتافيزيقا من مجال البحث بـــزعم أن قضاياها فارغة لا تحمل معنى ، ورأوا أن الفلسفة منهج بغير موضوع . وهذا كلام مردود عليه ، ومن بعض الرد بيان ما للفلسفة من فائدة وقيمة .

وبعد : فإننا سنحاول طرح هذه القضايا في الجزء الثاني من هذه الدراسة ونسأل اله تعالى أن يهيئ لنا من أمرنا رشداً

(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير)

هذا .. وبالله التوفيق ،،

دكتور مصطفى غلوش
الأستاذ بكلية أصول الدين
القاهرة
جامعة الأزهر

الفهرس



تم الجزء الأول

بحمد الله

رقم الإيداع ٧٠٧٨ / ١٩٩٩

الترقيم الدولي

ISBN

977-5101-05